كَلَامُ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤمِنِينَ[1]

حَدَّثَنِي عبدُ اللهِ بنُ عَمرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ أَبِي عَلِيٍّ البَصرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بنُ عُبَيدِ اللهِ السَّدُوسِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو المنهَال سُوَيدُ بن عَلِيِّ بنِ سُوَيد بنِ منجُوف، عَن هِشَامِ بنِ عُروَةَ، عَن أَبِيهِ قَالَ: بَلَغ عَائِشَةَ أُمَّ المُؤمِنِينَ أَنَّ أُنَاسًا نَالُوا مِن أَبِي بَكرٍ، فبَعَثَت إِلَى جَمَاعةٍ مِنهُم، فعَذلَت وقَرعَت، ثُمَّ قَالَت: «أَبِي مَا أبيه، لَا تعطُوهُ الأيدِي، ذَاكَ -وَاللهِ- حِصنٌ مَنِيفٌ[2]، وَظِلٌّ مَدِيد، أنجَح[1] إذ

---

(1) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، أفقه النِّسَاء مطلقًا، وأفضل أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا خديجة، ففيهما خلافٌ شَهير، وأهل التحقيق كالإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ يقول عن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنه: «سُئل عن خديجة وعائشة أُمَّي المُؤمنين؛ أيهما أفضل؟ فقال: سَبق خَديجة وتأثيرها في أَوَّل الإسلام، ونصرها وقيامها في الدِّين لم تُشركها فيه عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين، وتأثير عائشة في آخر الإسلام، وحمل الدِّين، وتبليغه إلى الأمة، وإدراكها من العلم ما لم تُشركها فيه خديجة ولا غيرها مما تميزت به غيرها».
ثم قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتأمَّل هذا الجواب الذي لو جئتَ بغيره من التفضيل مُطلقًا لم تَخلص من المعارضة». «بدائع الفوائد» (3/ 684).
وقد تُوفِّيت أُمُّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سنة سبع وخمسين على الصَّحيح. انظر ترجمتها في: «تقريب التهذيب» (ص750)، و«تهذيب التهذيب» (12/ 461).

(2) **منيف**: طَويل في ارتفاع.

أكدَيتُم[2]، وَسَبَقَ إذ وَنيتُم[3]، سَبَقَ الجَوَادُ إذَا استَولَى عَلَى الأَمَدِ، فَتَى قُرَيشٍ نَاشِئًا، وَكَهفهَا كَهلًا[4]، يَرِيش[5] مُملقهَا[6]، ويَفُكُّ عَانِيهَا[7]، ويرأَبُ[8] صَدعهَا، ويلُمُّ شَعثَهَا[9]، حَتَّى حَلَّتهُ قُلوبُهَا، وَاستَشرَى[10] فِي دِينِهِ؛ فمَا بَرحَت شَكِيمَتُه فِي ذَاتِ اللهِ -عز وجل- حَتَّى اتَّخَذ بِفِنَائِهِ مَسجِدًا، يُحيي فِيهِ مَا أَمَاتَ المُبطِلُون، وكَانَ- رَحمَةُ اللهِ علَيهِ- غَزِيرَ الدَّمعَة، وَقِيذَ الجَوَانِح[11]، شَجِيَّ النَّشِيج؛ فَانصَفَقَت[12] عَلَيهِ

=

(1) **أنجح**: أَيْسَر وأعطى.

(2) **أكدى الرجل يكدي إكداء**: بخل، وأمسك عن العطاء، أو قَلَّلَه؛ قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ [النجم: 33، 34].

(3) **وَنَى في الأمر**: ضَعُف وفَتَر، وكَلَّ وأَعْيَا؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾﴾ [طه:42].

(4) **الكهل من الرجال**: الذي جَاوَز الثَّلاثين.

(5) **رَاشَه يريشه**: أي: كَسَاه وأعانه.

(6) **أملق الرجل يملق**: افتقر. **والمملق**: الفقير.

(7) **العاني**: الأسير.

(8) **يرأبه**: أي: يُصلحه.

(9) **الشَّعث**: المتفرق.

(10) **استشرى الرجل في الأمر**: أي: جَدَّ فيه.

(11) **رجل وقيذ**: أي: مَحزون القَلبِ كأَنَّ الحُزْنَ قد كَسَره وضَعَّفَه.

(12) أي: اجتمعت إليه.

نِسوَانُ أهلِ مَكَّةَ وَوِلدَانُهَا، يَسخَرُونَ منهُ، ويَستَهزِءون به، واللهُ يَستَهزئُ بِهِم، ويمُدُّهُم فِي طُغيانِهِم يعمَهُون.

وأكبَرت ذَلِك رجَالَاتُ قُريش؛ فحَنَت لَهُ قِسيَّهَا، وفَوَّقَت(1) إلَيه سِهَامَها؛ فامتثَلُوه غرَضًا، فمَا فلُّوا(2) لَهُ صَفَاة(3)، وَلَا قصَفُوا لَهُ قنَاة، ومَرَّ علَى سيسَائِه(4) حتَّى إِذَا ضَربَ الدِّين بِجرَانِه(5)، وأرسَت أوتَاده، ودخَلَ النَّاس فيهِ أفوَاجًا، مِن كُلِّ فِرقَةٍ أَرسَالًا وَأشتَاتًا، اختارَ اللهُ لِرَسُوله- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ- مَا عِندَهُ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرَبَ الشَّيطَانُ رِوَاقِه، وشَدَّ طَنبَه(6)، ونصَبَ حبَائِلَه، وأجلَبَ بخَيلِه ورَجلِه، وألقَى برَكبِه، واضطرَبَ حَبلُ الدِّينِ وَالإِسلَام، ومرجَ عَهدُه(7)، ومَاجَ أهلُه، وعَاد مُبرمُه أنكَاثًا، وبَغَى الغَوائِلُ(8)، وظَنَّت رِجَالٌ أن قَد أكثبَت(9) أطمَاعهُم نُهزَتها(10)، وَلَاتَ حِينَ الَّذي يرجُون، وأَنَّى والصِّديق بَين أظهُرِهِم، فقَامَ

---

(1) فَوَّقته، أي: جعلت له فُوقًا، والفُوق: موضع الوتر من السَّهم، كناية عن الحرب.

(2) **فَلَّ الشيء**: أي: كَسَره.

(3) **الصفاة**: صَخرة مَلْسَاء، أي: فَمَا كسروا له حجرًا، تَكَنَّى بذلك عن قُوَّته في دينه.

(4) **السيساء**: مُنتظم فقار الظهر، والمقصود: العادة والطبع.

(5) **جران البعير**: مُقَدَّم عُنقه من مَذبحه إلى مَنحره.

(6) **الطَّنَب**: حِبَال يشد بها سرادق البيت.

(7) **مرج**: اختلط.

(8) **الغوائل**: جمع غائلة، وهو الرجل الدَّاهية.

(9) **الكَثَب**، بالتحريك: القرب، يقال: رماه مِن كَثب. ويقال: أكثبك الصيد، أي: أمكنك.

(10) **والنهزة**: الفُرصة. والجمع: نهزات.

حَاسِرًا مُشَمِّرًا قَد رفَع حَاشِيَتيهِ، وجَمعَ قُطرَيه[1]، فرَدَّ نشر الدِّينِ علَى غرِّه[2]، ولَمَّ شَعَثَه بطيِّه[3]، وأقامَ أودهُ بثقَافِه[4]؛ فابْذعَّر النِّفَاقُ بوَطأَتِه[5]، وانتَاشَ الدِّينُ فنَعشَه[6].

فَلَمَّا أرَاحَ الحَقُّ علَى أهلِهِ، وَأقَرَّ الرّءوسَ علَى كوَاهلِهَا، وحَقنَ الدِّمَاءَ فِي أهُبهَا[7]، وحضَرَته منِيَّتُه- نضَّرَ اللهُ وجهَهُ- فسَدَّ ثُلمَته[8] بشَقِيقِه فِي المَرحمَة، ونَظِيره فِي السِّيرَة والمَعْدَلَةِ؛ ذَاك ابنُ الخَطَّاب، للهِ دَرُّ أُمٍّ حَمَلَت بِهِ، ودَرَّت علَيهِ! لَقَد أوحدَت[9]؛ فَفَنَخَ[10] الكَفرة ودَيَّخها[11]، وشَرَّدَ الشِّركَ شَذَرَ مَذَرَ[1]، وبَعَجَ

---

(1) **قطريه**: مثنى قطر، وهو نَوع من الأكسي مخطط. والمعنى: أنه جَمَع جانبيه عن الانتشار والتَّعدد والتفرق.

(2) أي: على طَيِّه وكَسره، أرادت تدبيره أمر الرِّدة، ومقابلته دائها بدوائه.

(3) **الشعث**: المُنتشر المُتَفَرِّق. **والطَّي**: الجمع، ضد النَّشر.

(4) **أَوَده**: معوجه. **والثِّقَاف**: الجِلَاد والخصام.

(5) أي: وطئه وطأ ثقيلًا، **فابذعر**، أي: تفرَّق.

(6) **الانتياش**: التناول، ومثله التناوش، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ [سبأ:52]، يعني: أنى لهم تناوش الإيمان في الآخرة، وقد كفروا به في الدنيا.

(7) **الأهب**: جمع إِهَاب، وهو الجلد.

(8) **الثلم**: كَسر حافة الإناء.

(9) أي: ولدته وحيدًا فريدًا لا نظير له.

(10) **فنخه**: قَهَره وذلَّلَه.

(11) ديخها، هو بمنزلة دَوَّخها.

الأَرضَ وبَجَعَهَا[2]؛ ففَاءَت أُكُلهَا، ولفظَت خَبِيئهَا، ترأَمُه[3] ويَصُدُّ عنهَا، وتَصَدَّى لَهُ ويَأْبَاها، ثُم وَزَّع فَيئَها[4] فِيهَا، وتركهَا كمَا صَحِبهَا؛ فأَرُونِي ماذَا ترتَؤون؟ وأيّ يَوْمَي أَبِي تَنقِمُون؛ أيَوم إقامَتِه إذ عَدَل فِيكُم، أو يَوم ظَعْنِه إذ نَظَر لكم؟![5].

أقُول قولِي هَذَا، وأستَغفِرُ اللهَ لِي ولكم»[6].

وحَدَّثَنِي أَبُو مُحَمَّدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَيَّان بنُ مُوسَى الكشمهَانِيُّ، قَالَ: أَخبَرَنَا عبدُ اللهِ؛ يعني: ابنَ المُبارك، قَالَ: أَخبَرَنَا مَعْمَر، عَنِ الزُّهرِيِّ، عَن القَاسِم، قَالَ مُعَاوِيَة: «مَا رأيتُ أحدًا بَعد رَسُول اللهِ ﷺ أبلَغَ مِن عَائِشَة»[7].

قَالَ: وحَدَّثَنِي إِسمَاعِيلُ بنُ إسحَاقَ الأنصَارِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عليُّ بنُ أعين، عَن أَبيهِ، قَالَ: بلغنا أنَّ عَائِشَة لمَّا قُبِضَ أَبُو بَكرٍ وَدُفِنَ، قامَت علَى قبرِه، فقَالَت:

=

(1) أي: فَرَّقه وبَدَّده في كل وجه.

(2) أي: شَقَّها وأذلها، يقال: بجع الأرض إذا تَابع حِرَاثتها. وهي كناية عن كثرة فتوحه.

(3) **ترأمه**: تَعطف عليه، كما ترأم الأم ولدها، وتَصَدَّى له: أي: تتعرض.

4 خَرَاجها.

(5) **يوم ظَعْنِه**: تريد يوم وفاته وعهده بالخلافة إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قام بها خير قيام بعده؛ فرضي الله عنهما.

(6) أخرجه الطبراني في «الكبير»، برقم: (300)، وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (30/ 338).

(7) أخرجه الطبراني في «الكبير» (23/ 183) (298)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (153/59)، وقال الهيثمي في «المجمع» (9/ 389): «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح».

«نَضرَ اللهُ- يَا أَبَتِ- وجهَكَ، وشَكَر لَكَ صَالِحَ سَعيِكَ؛ فلَقَد كُنتَ للدُّنيَا مُذِلًّا بإدبَارِكَ عنهَا، وللآخِرَةِ مُعِزًّا بإقبَالِكَ علَيهَا، ولئِن كَانَ أعظَمَ المَصَائِب بَعدَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رزؤكَ[1]، وأكبَر الأحدَاث بَعدَه فَقدُك، فإنَّ كِتَابَ الله عَزَّوَجَلَّ ليَعِدُنا بالصَّبرِ عَنكَ حُسن العِوَض مِنك، وأنَا مُتنجزةٌ مِن اللهِ مَوعده فِيك بالصَّبر عليك، ومُستَعِينَتُه بكَثرةِ الاستِغفَار لكَ، فسلَامُ اللهِ علَيكَ توديع غَير قَالِيَةٍ لحَياتِكَ، وَلَا زَارِيَة علَى القضَاء فِيك[2]»[3].

وحَدَّثَنَا هَارُونُ بنُ مُسلِم بنِ سَعدَان، قَالَ: حَدَّثَنَا العتبيُّ، عَن أبِيه، قَالَ: ذكَرَت عَائِشَةُ أبَاهَا، فَاستَغفرَت، ثُم قَالَت: «إنَّ أبي كَانَ غَمْرًا شَاهِدُه، غَمْرًا غَيْبُه، غَمْرًا صَمْتُهُ إلَّا عَن مَفروضٍ ذلَّـلَهُ عِندَ الحَقِّ[4]، إذَا نزَلَ بِهِ يتمخَّج الأَمر هُوَينَاه، ويَرِيع إلَى قُصِيْرَاه[5]، إن استُفْزِز أَسْجَح[6]، وإن تعَزَّز عَلَيهِ طَامَنَ[1]، طَيَّار بفِنَاء

---

1 **الرزؤ**: المُصيبة، أي: الابتلاء بفقدك.

2 أي: غير مُبغضة لبقائك، ولا مُعترضة على رحيلك.

(3) أخرجه أبو يَعْلَى في «معجمه» (1/ 95)، برقم (88)، وابن عساكر بأطول منه في «تاريخ دمشق» (30/ 442، 443).

(4) **الغَمْر**: الكَريم الواسع الخلق. وشاهده: حاضره. والمعنى: أنه كريم متسامح في علانيته وسره ونطقه وصمته إلا عن أمر مفروض؛ فإنه لا يتسامح فيه.

(5) تَمَخَّج الماء: حَرَّكه. وهُوينى الأمر: سَهله. ويريع: يرجع. وقصيراه: غايته، تريد أنه يأخذ الأمور بالرفق حتى تبلغ غايتها.

(6) أي: إذا استفزز لغضب ونحوه. أسجح، أي: سَهَّل. ويُروى: «إن استغزز أسجح»، وحينئذ يكون معنى أسجح: سمح.

المُعْضلَة[2]، بَطِيءٌ عَن مُمارَاة الجَلِيس[3]، مُنشِئٌ لمحَاسن قَومِه، مَوقُور السَّمع عَن الأذَاة[4].

يَا طُولَ حُزنِي وشَجَاي[5]، لَم أَلْعُ علَى مثكُولٍ بَعد رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآله - لَوعِي علِى أبي[6]، طَامَنَ المَصَائبَ رُزْؤُهُ[7]، وكنتُ بَعد النَّبيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآله- لا رُزْء أَحْفِلُه[8]، وعَاء الوَحي، وكَافل رضَاء الرَّبِّ، وآمِين ربِّ العَالَمِين، وشَفِيع مَن قَالَ: «لَا إلَهَ إلَّا اللهُ»، ثُمَّ أنشَأَت تَقُول:

إنَّ مَـــاءَ الجُفُـــونِ[9] يَنزحُـــهُ الهمـــــ ـــــمُ وتـــبقَى الهُمُـــوم وَالأَحـــزَانُ

لَـــيسَ يَأْسُـــو جَـــوَى المـــرَازِئِ مَـــاءٌ سَـــفحَتهُ الشُّـــؤونُ وَالأَجفَـــانُ»[10]

---

1 أي: إن غُولب في المخاطبة سَكَن، تريد أنه سمح الخلق لا يغضب إلا للحق.

2 **المعضلة**: الأمر الشديد، والمعنى: أنه سريع في تدبير مُعضلات الأمور.

3 **المماراة**: الشك، أو مُجَاراة الإنسان جَلِيسه بالباطل، ونحو ذلك.

4 أي: يَتَصَامم عن سماع الأذية. **والموقور**: الذاهب السمع.

5 **الشَّجَى**: قَهر الحزن.

6 أي: لم تجزع على حبيب مفقود بعد النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ جزعها على أبيها.

7 أي: أنساها هذا الرُّزء؛ لعظمه، فأيُّ مُصيبة بعده جَلَل.

8 أبالي به.

9 **ماء الجفون**: أي: الدُّموع.

10 **يأسو**: يُدَاوي، جوى: الحزن. **المرازئ**: مَن مَات خِيَار قومه.

سفحته الشؤون والأجفان: سفحته: صَبَّته. **الشؤون**: مجرى الدُّموع.

قَالَ: وحَدَّثَنِي أبُو السُّكين زَكَرِيَّا بن يَحيَى، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمُّ أبِي زَحْر بن حِصْن، عَن جَدِّه حُمَيد بنِ حَارِثَةَ بنِ مُنْهَب بن خَيبَرِيِّ بنِ جُدعَا قَالَ: «حجَجتُ في السَّنَة الَّتي قُتِلَ فِيهَا عُثمَانُ، فصَادَفتُ طَلحةَ وَالزُّبَيرَ وعَائِشَةَ بمَكَّة، فَلَمَّا سَارُوا إلَى البَصرَة سِرتُ معَهُم، فَلَمَّا وقَفَتْ عَائِشَةُ بالبَصرَةِ قَالَت:

«إنَّ لِي علَيكُم حُرمَةَ الأُمُومَة[1]، وحَقَّ المَوعِظَة، لَا يَتَّهِمُنِي إلَّا مَن عصَى رَبَّه».

قَالَ أبو السُّكين: «أرَادَت ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [النور:17].

قَالَت: «قُبِضَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وآله- بَينَ سَحْرِي ونَحْرِي[2]، وأنَا إحدَى نِسَائِه فِي الجَنَّة، لَهُ ادَّخَرَنِي رَبِّي، وحَصَّنَنِي مِن كُل بُضعٍ[3]، وبِي مَيَّز مُؤمِنَكُم مِن مُنافِقِكُم[4]، وبِي أرخَصَ اللهُ لكُم في صَعِيد الأَبوَاء[1].

---

1 تقصد أنها من أزواج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وهن أمهات المؤمنين؛ قال الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾ [الأحزاب:6].

2 **السَّحْر**: الرِّئة. والنَّحر: أعلى الصَّدر، تريد أنه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه مات وهو مُستند إلى صدرها، وما يُحَاذي سَحرها منه. وكان ذلك أيضًا في بيتها، وليلتها.

3 أي: من كل نِكَاح؛ لأن النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ تزوجها بكرًا من بين نسائه.

4 تشير إلى حديث الإفك، وهو اتِّهامها بالزنا؛ وقد بَرَّأها اللهُ جل وعلا في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ [النور:11]، ولذا لا يتهمها رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا أحدٌ بهذا بعد تبرئة الله لها إلا كان منافقًا؛ لأنَّه يَرُدُّ كلام الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

وفي نسخة: «ثُم أَبِي ثَانِيَ اثنَينِ اللهُ ثَالثهُمَا»[2].

«وأبِي رَابِع أربعَةٍ مِن المُسلِمِينَ[3]، وَأوَّل مَن سُمِّيَ صِدِّيقًا[4]، قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهُوَ عنه راضٍ، وقد طَوَّقَهُ وَهْفُ الإِمَامَة[1]، ثُم اضطرَبَ حَبلُ

=

1 **أرخص**: أجاز. **والصَّعيد**: التراب. **والأبواء**: المفازة. تُريد أنها كانت سببًا في رخصة التيمم؛ والقصة أخرجها البخاري (4607) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «خرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض أسفاره- حتى إذا كنا بالبَيْدَاء، أو بذات الجيش- انقطع عِقْدٌ لي، فأقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق، فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؛ أقامت برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبالناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء؟ فجاء أبو بكر ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبستِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء. قالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال: ما شاء الله أن يقول، وجعل يَطعنني بيده في خاصرتي، ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فخذي، فقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أصبح على غير ماء؛ فأنزل اللهُ آيةَ التَّيمم فتيمموا، فقال أُسَيد بن حُضَير: ما هي بأَوَّلِ بَرَكتكم يا آل أبي بكر».

2 تشير بذلك إلى دخول أبيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غار ثَوْر مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الهجرة؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:40].

3 يقال: إنَّه أسلمَ قبله خديجة، وعليٌّ، وزيد بن حارثة. «الأوائل» للعسكري (ص 140).

4 تلقيب أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالصديق أمر ثابت مجمع عليه، لا شكَّ فيه، فقد روى البخاري (3675) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صعد أُحُدًا، وأبو بكر وعمر وعثمان، فَرَجَفَ بهم فقال: «**اثْبُتْ أُحُدُ؛ فإنَّما عليك نبيٌّ وصِدِّيقٌ وشَهيدان**».

=

الدِّين؛ فأَخَذَ أَبِي بطَرفَيهِ، ورَتَقَ لكُم أثنَاءَهُ[2]، فوَقذَ النِّفَاقَ[3]، وأغَاضَ نَبع الرِّدَّة[4]، وَأطفَأ مَا حَشَّتْ يَهُودُ[5].

وأَنتُم يَومَئِذٍ جُحَّظُ العُيُون، تَنظُرونَ العَدْوَة، وتستَمِعُونَ الصَّيحَة[6]، فرَأَبَ الشَّأْي[7]، وأَوْذَمَ العَطِلَة[1]، وامتَاح مِن المَهْوَاة[2]، واجتحَى دَفِين الدَّاء[3]، ثُمَّ

=

ففي هذا الحديث وصفٌ من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأبي بكر بالصِّديقية.

قال الإمامُ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تهذيب الأسماء واللغات» (2/ 181): «وأجمعت الأئمةُ على تسميته صِدِّيقًا؛ قال علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إنَّ الله- تعالى- هو الذي سَمَّى أبا بكر على لسان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: صِدِّيقًا، وسبب تسميته: أنه بَادَرَ إلى تصديق رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولَازَم الصِّدق، فلم يقع منه هَنَاة، ولا وقفة في حال من الأحوال».

1 أي: ثقلها، وتَبِعَاتها.

2 **أثناءه**: ما انثنى منه. تريد رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنه لما اضطرب أمر الأمة يوم الرِّدة أحاط به أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من كل جوانبه وضَمَّه، وكانت فتنة، فأخمدها بحزمه وعزمه، وهذا توفيقٌ من الله جل وعلا له.

3 أي: كسره ودَمَغَه.

4 أي: أذهب ما نبع منها وظهر.

5 أي: ما أَوْقَدَت اليهودُ من نيران الفتنة والحرب؛ قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عنهم: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ [المائدة:64].

6 تريد أنهم كانوا في جَهدٍ وبلاء، اجحظت عيونهم؛ أي: برزت، وهم ينظرون الوثبة عليهم، ويسمعون للتصايح إليهم، وقد أُسقط في أيديهم.

7 أي: أصلح الفساد.

انتظَمَت طَاعَتُكُم بحَبلِه؛ فوَلَّى أمرَكُم رجُلًا شَدِيدًا فِي ذَاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ(4)، مُذعِنًا إِذَا رُكِن إلَيه(5)، بَعِيد مَا بَين اللَّابتَين(6)، عُرَكَة للأذَاة بجَنبِه(7)؛ فقبَضَهُ اللهُ وَاطِئًا علَى هامَةِ النِّفَاق(8)، مُذكِيًا نَارَ الحرب للمُشرِكِينَ(9)، يَقظَان اللَّيلِ فِي نُصرةِ الإِسلَام، صَفُوحًا عَن الجَاهِلِين(10)، خِشَاش المَرآة والمَخْبَرة(11)، فسَلَك مَسلكَ السَّابقِيَّة(12).

=

1 **العطلة**: الدَّلو المُعَطَّلة عن الاستقاء لانقطاع وَذْمِها، أي: سُيورها. وأوذمها: أي: شَدَّها وأصلحها.

2 **امتاح**: انتزع. **والمهواة**: البئر العميقة. أرادت أنه تَحَمَّل ما لم يَتَحَمَّل غيره.

3 أي: استأصله.

4 تريد عَهْد أبيها لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بالخلافة من بعده.

5 **المذعن**: هو المُسرع في الطاعة؛ أي: لا يألو إذا طُلب، أو استُعين به.

6 **اللابتان**: مثنى اللابة، وهي نوع من أنواع الأرض. تريد أنَّه وَاسِعُ الصَّدر.

7 أي: يحتمله.

(8) **الهامة**: الرأس.

9 أي: موقدها.

(10) إلى هنا أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة»، برقم: (2473)، وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (390/30).

11 تريد أنه لطيف الجسم والمعنى

12 أي: الذين سبقوه في النظر في أمر المسلمين.

obeikandl.com

تبَرَّأتُ إلَى اللهِ مِن خَطْبٍ جَمَعَ شَمْلَ الفِتنَة[1]، ومَزَّق مَا جَمَع القُرآن، أنا نَصْبُ المَسألة عَن مَسِيرِي هَذَا[2]، ألا وَإنِي لَم أُجَرِّد إثمًا أدَّرِعُه[3]، ولم أُدلِّس فِتنةً أُوطئكُمُوهَا.

أقُولُ قَولِي هَذَا صَادِقًا وعَدلًا، واعتِذَارًا وتَعذِيرًا، وأسأَل اللهَ أن يُصَلِّيَ علَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ عَبده ورَسُولِه، وأَن يَخلفَه فِي أُمَّتِه بأفضَل خِلَافة المُرسَلِين.

وإنِّي أقبَلتُ لدَمِ الإمَامِ المَظلُوم[4]، المَركُوبَة مِنه الفِقَرُ الأربَع[5]: حُرمَة الإسلَام، وحُرمَة الخِلَافة، وحُرمَة الصُّحبَة[6]، وحُرمَة الشَّهر الحَرَام[7]؛ فمَن رَدَّنا عَن ذَلِك بحَقٍّ قَبِلنَاه، ومَن خالَفَنَا قَتَلنَاه، ورُبمَا ظهَرَ الظَّالمُ عَلَى المَظلُوم[8]، والعَاقِبَة للمُتَّقِين».

---

(1) **الخَطب**: الأمر العظيم.

2 تريد أنها عُرضة لأن تسأل عن مسيرها هذا. **والنَّصب**: ما رُفِع واستُقبل به شيء.

3 **لم أُجَرِّد**: لم أنتزع. **أدرعه**: أجعله درعًا. تريد أنها لم تتلبس بالإثم.

4 تقصد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثالث الخلفاء الراشدين، الذي قُتِل ظُلمًا في داره.

5 **الفقر**: جمع فقرة، وهي خَرَزات الظَّهر؛ وقد ضربَتْهَا مَثَلًا لما ارتُكِب منه؛ لأنَّها موضع الركوب، وأرادت أنهم انتهكوا فيه أَرْبَع حُرُم.

6 أي: صحبته للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

7 لأنَّه قُتل في شهر ذي الحِجَّة، وهو من الأشهر الحُرُم.

8 أي: قد يَغلب الظالم في بدء الأمر، ولكن العاقبة للمتقين.

obeikandl.com

قَالَ: وحَدَّثَنَا عاصِمُ بن عَلِيِّ بنِ عَاصِم، عَن المَاجِشُون، قَالَت عَائِشَة: «قُبِضَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّم، فلَو نزَلَ بالجِبَال الرَّاسِيَات مَا نزَلَ بِأَبِي لهَاضهَا[1].

اشرأَبَّ النِّفاقُ[2] بالمَدِينَة، وارتدَّت العَربُ، فوَاللهِ، مَا اختلَفَ المُسلِمُون في لَفظَةٍ إلَّا طَار أبِي بحَظِّهَا وغِنَائهَا فِي الإِسلَام، ومَن رَأَى ابنَ الخَطَّاب عَلِمَ أنَّه خُلِقَ غِنَاء للإِسلَام؛ كَانَ واللهِ أحوَذِيًّا[3]، نَسِيجًا وحدَه[4]، قد أعَدَّ للأمُورِ أقرَانهَا[5]»[6].

وقَالَ هَارُونُ بنُ مُسلِم بنِ سعدَان، عَن القُتَيبِيِّ، عَن أَبيهِ، قَالَ: أتَت أُمُّ سلَمَة -رَحمَةُ اللهِ عَلَيهَا- عُثمَانَ بنَ عفَّان لمَّا طعَنَ النَّاسُ علَيه، فقَالَت: «يا بُنَيَّ، مَا لِي أرَى رَعِيَّتكَ عنك مُزَوِّرِين[7]، وعن نَاحِيَتِكَ نَافِرِين[8]، لَا تعفُ[9] سَبِيلًا كَانَ

---

1 أي: لَكَسَرها.

2 أي: تَطَاول بعنقه.

(3) **الأحوذي**: المُنْكَمِش في أموره، الحَسَن السِّياق للأمور.

4 أي: لا نظير له.

5 أي: ما يَقوى به عليها.

(6) أخرجه الطبراني في «الأوسط»، برقم (4913)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» برقم، (37255).

7 مُعرضين مُنْحَرفين.

8 مُتَباعدين بجزع.

9 لا تَمْحُ.

obeikandl.com

رَسُول اللهِ- صَلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّم- لَحَبَها[1]، وَلَا تقدَح زندًا كَانَ أَكْبَاهَا[2]؛ توَخَّ حيثُ توَخَّى صَاحِبَاك[3]؛ فإنَّهُمَا ثَكَمَا الأمرَ ثَكْمًا[4] ولم يَظلِمَاه، لَستَ بِغُفلٍ فتَعتَذِر، وَلَا بجُلوٍ فتعتَزِل[5]، وَلَا تقُول وَلَا يُقَال إلَّا لِظَنٍّ، وَلَا يختلف إلَّا فِي ظنين[6]؛ فهَذِه وصِيَّتي إيَّاك، وحَقُّ بُنُوَّتِك[7]، قضَيتُها إلَيك، ولله علَيكَ حَقُّ الطَّاعَة، وللرَّعِيَّة حقُّ المِيثَاق»[8].

فقَالَ عَثمَانُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَا أُمَّنا، قد قُلتِ فوَعَيتُ، وأَوْصَيتِ فاستَوصَيتُ؛ إنَّ هؤلَاء النَّفر رعَاعٌ، عَثرة[9]، تطَأطَأتُ لَهُم تطأطؤَ المَانِح الدلَاة[1]، وتلَدَّدتهُم تلَدُّدَ

---

1 أي: بَيَّنَها وشَرَعها. **وطريق لاحب**: واضح.

2 أي: عَطَّلها من القدح فلم يُورِ بها. مِن وَرى الزِّند، أي: أَخْرَج ناره. والمعنى: لا تعمل شيئًا لم يعمله.

3 أي: اقصد ما قصده صاحباك، والزم نهجهما.

4 أي: نَظَماه نظمًا.

5 المراد: أنَّ عُوده صَلب ومُرٌّ، فلا يَسهل عجمه أو كسره، وذلك لمكان عَصبيته في قومه بني أُمَيَّة، وشرفه في إسلامه.

6 أي: لم تحصل الأقاويل في شأنك إلا لموضع الظن من انحرافك إذ لا اختلاف إلا على ظنين، أي: مُتَّهم.

7 لعثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حَقُّ البُنوة على أُمِّ سَلَمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا؛ لأنها من أزواج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهن أمهات المؤمنين.

8 أي: السَّمع والطاعة في غير معصية؛ لأنَّه الخليفة.

9 سَفَلة، أو جُهَّال.

المُضطَرِّ[2]؛ فأرَانِيهِمُ الحَقُّ إخوَانًا، وأرَاهمُونِي البَاطِلُ شيطَانًا، أجرَرْتُ المَرسونَ مِنهُم رَسَنَه[3]، وأبلغَت الرَّاتِع مِسقَاته[4]، فانفَرقُوا علَيَّ فِرَقًا ثلَاثًا؛ فصَامَتٌ صَمْتُه أَنْفَذُ مِن صَوْل غَيره[5]، وسَاع أطَاعنِي شاهدُه[6]، ومنَعَنِي غَائِبه، ومُرخَّص لَهُ فِي مُدَّة رينَت لَهُ علَى قلَبِهِ[7]، فأنَا مِنهم بَين ألسِنَةٍ حِدَادٍ[8]، وقلُوبٍ شِدَادٍ، وسُيُوفٍ حِدَادٍ، عزيزي اللهُ مِنهُم[9] ألَّا ينهى مِنهم حَلِيمٌ سَفِيهًا، وَلَا عالِمٌ جَاهِلًا، واللهُ حَسبِي وحَسبُهم يَوم لَا يَنطِقُون، وَلَا يُؤذَن لَهُم فيَعتذِرُون[10]»[1].

=

1 أي: خفضت نفسي كما يخفضها المستقون بالدلاة، وتواضعت وانحنيت. **والماتح**: المستقي من البئر بالدلو.

2 **أصل التلدد**: الالتفات يمينًا وشِمالًا، وأراد أنه حرص عليهم، ونظر إليهم.

(3) **الرَّسن**: حبل تُقَاد به الإبل. أراد أنه تركه يصنع ما شاء.

4 **المسقاة**: موضع الشرب. أراد أنه جمع له ما بين الأكل والشرب. ضَرَبَه مَثَلًا لِرِفْقِه برعيته.

5 أي: إمساكه أشد من تطاول غيره . يقال : طال عليه واستطال وتطاول: إذا علاه، وترفع عليه.

6 حاضره، ويروى: «أعطاني».

7 «رينت» من الرَّين، أي: غَطَّى الذَّنب على قلبه، فلم يُصِب طريق الهُدَى. يريد بذلك أن من جاهروا بعداوته عَمُوا عن طريق الهُدى.

8 أي: بالغة مُنتهى حِدَّتها وبأسها.

9 أي: نصيري الله عليهم.

10 أي: عند الحساب في الآخرة. وهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المرسلات: 35، 36].

وقَالَ هَارُونُ: عَن العتبي، عَن أبِيهِ، قَالَ: قَالَت أُمُّ سلَمَة (**وفي نسخة**: كتَبَت إِلَيهَا أُم سَلَمَة -رَحمَةُ اللهِ عَلَيهَا) لعَائِشَةَ لمَّا همَّت بالخُروجِ إِلَى الجَمَل[2]: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّكِ سُدَّةٌ بَين رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبَين أُمَّتِه[3]، حِجَابُكِ مَضروبٌ علَى حُرمَته[4]، وقَد جمعَ القُرآنُ ذَيلَكِ فَلَا تندَحِيه[5]، وسَكَّنَ اللهُ مِن عُقَيرَاك، فلَا تُصْحِرِيها[6].

اللهُ مِن ورَاء هَذِه الأُمَّة، قد عَلِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَانك، لَو أَرَادَ أن يَعْهَد فِيكَ عَهِدَ، بَل قد نَهاكَ عَن الفُرْطَة فِي البِلَاد[7]!

=

(1) «محادثات النساء» (ص 57)، وذكره ابن قتيبة في «غريب الحديث» (2/78، 79).

2 لِتَركبه ذاهبة من المدينة إلى البصرة مُطَالبة بدم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

3 أي: باب؛ فمتى أُصِيب ذلك الباب بشيء، فقد دُخل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حريمه، واستبيح ما حَمَاه؛ فلا تَكوني أنت سبب ذلك بالخروج الذي لا يجب عليك، فتُحوجي الناس إلى أن يفعلوا مثلك.

4 تقصد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:53].

5 أرادت قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ [الأحزاب:33]. وقولها: «**فلا تندحيه**»، أي: فلا تُوسعيه، ولا تُفَرِّقيه بالخروج إلى البصرة.

6 أي: أسكنك اللهُ بيتَك وعقارك، وسَتَرَك فيه، فلا تَخرجي منه إلى الصحراء.

7 أي: التقدم في البلاد.

obeikandl.com

مَا كُنتِ قَائِلَة لو أنَّ رَسُولَ اللهِ- صَلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّم- عارَضَك[1] بأطرَاف الفَلوَاتِ[2] نَاصَّة[3] قَلُوصَك مِن مَنهَلٍ إلَى منهَل[4]؛ إنَّ بِعَين اللهِ مَثوَاك[5]، وعلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُعرضِين، ولو أُمرتُ بدُخُول الفِردَوس لَاستَحيَيتُ أن ألقَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هاتِكَة حِجَابًا جعلَهُ اللهُ عليَّ؛ فاجعَلِيه سِترَك، وقَاعةَ البَيت قبرَك حتَّى تَلقِيَه، وهُوَ عَنك رَاضٍ.

فقَالَت عَائِشَة: «يَا أُمَّ سلَمَة، مَا أقبَلنِي لمَوعِظَتك، وأعرفَنِي بنُصحِك؛ ليسَ الأَمرُ كمَا تقُولِين، مَا أنَا بمُعبِرَة بَعد تَعود[6]، ولنعمَ المَطلع مَطلَعًا أصلَحتُ فِيهِ بينَ فِئَتَينِ مُتناجِزتَين[7].

وفي نسخة يُروى بعد ذَلِك: (فإن أقُم فَفِي غير حَرَجٍ، وإن أخرج ففِي إصلَاحٍ بينَ فِئَتَينِ مِن المُسلِمِينَ مُتناجِزَتَين، واللهُ المُستعَان)»[8].

---

1 أي: استقبلك.

2 الصَّحاري الواسعة.

3 **النَّصُّ**: التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها؛ **والنص والنصيص**: السَّير الشديد والحَث.

(4) **المنهل**: الموضع الذي فيه المشرب، أي: مكان الشرب، أو المنزل يكون في المفازة.

5 منزلك.

6 أي: لست براجعة عما عزمتُ عليه.

7 مُتَحَاربتين.

(8) «العقد الفريد» لابن عبد رَبِّه (5/ 65، 66)، وذكره ابن قتيبة في «غريب الحديث» (2/ 468).

زعَم لِي ابنُ أَبِي سَعد: أنَّه صحَّ عنده أنَّ العتابي كلثوم بن عُمَرَ صَنَع هذَينِ الحَدِيثَينِ، وقد كتَبتُهمَا علَى مَا فِيهِمَا.

الزُّبَير بنُ بكَّار، عَن أبِيه قَالَ: قِيلَ لعَائِشَةَ أمِّ المُؤمِنِينَ: إنَّ قومًا يَشتُمُونَ أصحابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عليه، فقَالَت: «قطَعَ اللهُ عنهم العمَل؛ فأَحَبَّ ألَّا يقطَع عنهُم الأَجر[1]»[2].

وذكَرَ الزُّبَير عَن مُصعَب بن عَبدِ اللهِ، عَن مُصعَب بن عُثمَان أنَّ عَائِشَةَ رأَت رَجُلًا مُتمَاوِتًا[3]، فقَالَت: «مَا هَذَا؟» فقَالُوا: زَاهِدٌ! قَالَت: «قَد كَانَ عُمَر بنُ الخَطَّاب زَاهِدًا، وكانَ إِذَا قَالَ أسمَعَ، وَإِذَا مَشَى أسرَعَ، وَإِذَا ضَرَبَ فِي ذَاتِ اللهِ أَوْجَعَ[4]»[5].

---

1 أي: انقطع عملُهم الصالح في الدُّنيا بموتهم، فأراد اللهُ ألا يقطع عنهم الأجر، فهو يُثيبهم على شتم الشاتمين إياهم؛ فقد أخرج مسلم (2581) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَتَدْرُون ما المُفْلِس؟**» قالوا: المفلس فينا مَن لا درهم له ولا متاع. فقال: «**إنَّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فَنِيت حسناتُه قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرِحت عليه، ثم طُرِح في النار**»، فكيف إذا كان المشتوم صحابة النبي الأمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!

(2) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (44/ 387).

3 أي: رقيق الحال مُصاب بالهزال مصفرًّا مُغبرًّا، كأنه ميت يمشي بين الناس.

4 أي: إذا ضرب مذنبًا في حَدٍّ من حدود الله أوجع. والمعنى: أنه لا تنافي بين الزهد وقوة الإنسان.

(5) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (178/62)، وذكره الأصفهاني في «محاضرات الأدباء» (2/ 428).

وقَالَ الزُّبَير، عَن أَبيهِ: أنَّ عَائِشَة لمَّا احتضَرَت[1] جزَعَت. فقِيلَ لها: أتَجزعِينَ- يَا أُمَّ المُؤمِنِينَ- وأنتِ زَوجَةُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمُّ المُؤمِنِينَ، وابنةُ- ويروى: «بنت»- أَبي بَكر الصِّدِّيق؟! فقَالَت: إنَّ يَومَ الجَمَل[2] مُعتَرضٌ في حَلقِي، لَيتنِي مِتُّ قَبلَهُ، أو كُنتُ نَسْيًا مَنسِيًّا»[1].

---

1 أي: حضرتها الوفاةُ.

2 أي: يوم خروجها للمطالبة بدم عثمان مع طلحة والزبير رضي الله عنهم جميعًا، وللإصلاح بين الناس، وما كانوا يقصدون قتالًا، واتفقوا على الصلح، وإنما حَرَّش بين الفريقين قتلةُ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأهل الفتنة؛ يقول ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ إنَّه بعد الاتفاق على الصلح: «اطمأنت النفوس وسَكَنت، واجتمع كُلُّ فريق بأصحابه من الجيشين، فلما أمسوا بعثَ عَلِيٌّ عبدَ الله بن عباس إليهم، وبعثوا إليه محمد بن طلحة السَّجَّاد، وبات الناسُ بخير ليلة، وبات قتلةُ عثمان بِشَرِّ ليلة، وباتوا يتشاورون، وأجمعوا على أن يُثيروا الحرب من الغَلَس، فنهضوا من قَبل طلوع الفجر، وهم قريبٌ من أَلْفَي رجل؛ فانصرف كُلُّ فريق إلى قَرَباتهم، فهجموا عليهم بالسيوف، فثار كل طائفة إلى قومهم لِيمنعوهم، وقام الناس من منامهم إلى السلاح، فقالوا: ما هذا؟ قالوا: طَرَقَنا أهلُ الكوفة ليلًا، وبَيَّتونا، وغَدروا بنا. وظَنُّوا أن هذا عن ملأٍ من أصحاب عليٍّ، فبلغ الأمر عليًّا، فقال: ما للناس؟ فقالوا: بَيَّتنا أهلُ البصرة. فثار كُلُّ فريق إلى سلاحهم، ولبسوا اللأمة، وركبوا الخيول، ولا يشعر أحدٌ منهم بما وقع الأمر عليه في نفس الأمر. وكان أمرُ الله قدرًا مَقدورًا. فَنَشبت الحرب، وتواقف الفريقان، وقد اجتمع مع عليٍّ عشرون ألفًا، والتف على عائشة ومن معها نحو من ثلاثين ألفًا، وقامت الحرب على ساق، وتبارز الفرسان، وجالت الشجعان، فإنا لله وإنا إليه راجعون. والسبئية أصحاب ابن السوداء- قَبَّحهُ الله- لا يفترون عن القتل، ومنادي عليٍّ ينادي: أَلَا كُفُّوا! ألا كفوا! فلا يسمع أحدٌ، وجاء كعب بن سور قاضي البصرة، فقال: يا أم المؤمنين، أدركي الناس، لعلَّ اللهَ أن يصلح بك بين الناس. فَجَلست في هودجها فوق بعيرها، وسَتروا الهودج بالدروع، وجاءت فوقفت بحيث تنظر إلى الناس في معركتهم، فتصاولوا وتجاولوا، وكان في جملة مَن تبارز =

ورُوِيَ أَنَّ عَائِشَةَ كانَت تَقُول: «للهِ دَرُّ التَّقوَى! مَا تركَت لذِي غَيظٍ شِفَاءً[2]»[3].

وكانَت تقول: «لَا تَطلبُوا مَا عِندَ اللهِ مِن غَير اللهِ بِمَا يُسخِطُ[4] اللهَ».

=

الزبير وعمار، فجعل عَمَّار يحوزه بالرمح، والزبير كاف عنه، ويقول له: أتقتلني يا أبا اليقظان؟ فيقول: لا يا أبا عبد الله. وإنما تركه الزبير؛ لقول رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**تقتلُك الفئةُ البَاغيةُ**»، وإلا فالزبير أقدر عليه منه عليه، فلهذا كَفَّ عنه، وقد كان من سُنتهم في هذا اليوم أنه لا يُذَفف على جريح، ولا يُتبع مُدبر، وقد قتل مع هذا بشرٌ كثير جدًّا، حتى جعل عليٌّ يقول لابنه الحَسَن: يا بني، ليتَ أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين سنة. فقال له: يا أَبَه، قد كنت أنهاك عن هذا». «البداية والنهاية» (10/ 454- 456).

(1) أخرجه بنحوه ابن سعد في «الطبقات» (8/ 59)، أما قولها: «ووددت أني كنت نسيًّا مَنسيًّا» فقد أخرجه البخاري (4753) عن ابن أبي مليكة قال: «استأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يُثني عليَّ، فقيل: ابن عم رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ومن وجوه المسلمين! قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تَجدينك؟ قالت: بخيرٍ إن اتَّقيت، قال: «فأنتِ بخيرٍ إن شاء الله، زوجة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولم ينكح بكرًا غيرك، ونزل عُذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلافه، فقالت: دخل ابنُ عبَّاس فأثنى عليَّ، وَوَددت أني كنت نسيًّا مَنسيًّا».

2 تعني أن تقوى العبد لربه تحول دون أن ينتقم من خَصمه، وذلك بأن يظلمه.

(3) ذكره الزيلعي في «تخريج الأحاديث والآثار» (226/1)، وفيه: أن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالته لما غَاظَها خادمٌ لها.

4 ذكر أبو هلال العَسكري أن الغضب يكون من الصغير على الكبير، ومن الكبير على الصغير، والسخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير. «الفروق اللغوية» (1/ 130).

حَدَّثَنَا عَبدُ الله بنُ عَمرو، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الصَّقر يَحيى بنُ يزدَاز، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحمد بنُ زَيد، قَالَ: حَدَّثَنِي حمَّاد بنُ خَالدٍ، عَن أَفلَح بنِ حُمَيدٍ، عَن القاسِم بنِ مُحَمَّد، عَن عَائِشَة: أَنَّها دخَلَت عَلَى أَبيهَا في مَرضِه الَّذي ماتَ فِيه فقَالَت: «يا أَبَتِ، اعْهَد إِلَى حَامَّتِك، وأَنْفِذ رَأيَك في سَامَّتِكَ[1]، وانْقُلْ مِن دارِ جِهازِك إِلَى دَار مُقامِك[2]؛ إِنَّك مَحضُورٌ[3]، متَّصِلٌ بقَلبي لَوعَتُكَ[4]، وأَرَى تخَاذُل أطرَافك[5]، وانتِقَاع لَونِك[6]، وإِلَى اللهِ تَعزيَتي عَنك، ولَدَيهِ ثَوابُ حُزنِي عَليكَ، أَرقأُ فَلا أَرْقى[7]، وَأَبَلَّ فَلا أَنْقَى»[8].

---

1 **الحامة**: العامة. وخاصة الرجل من أهله وولده. **والسَّامة**: الخاصَّة، ويروى: «اعهد إلى عامتك، وأنفذ رأيك في خاصتك».

2 أي: من دنياك إلى آخرتك.

3 أي: قد حضر أجلك.

(4) **اللوعة**: حُرقة الحزن.

5 أي: ضعفها.

6 أي: تَغَيُّره، ويروى: «امتقاع».

7 اسْكُن فلا أسكن. أرقأ الدمع ونحوه: سَكنه.

8 أي: أرتشف الماء فلا أروى، وذلك من مَضض الحزن، ولَوعتها عليه. وأنقى العود: جرى فيه الماء وابتل.

obeikandi.com

قَالَ: فَرفع رَأسَه إِلَيهَا، فقَالَ: «يا أُمَّه[1]، هَذَا يَوم يُجلَّى لي عَن غِطائي، وأُعاينُ جَزائي؛ إنْ فَرحٌ فَدائِمٌ[2]، وإن تَرَحٌ فمُقيمٌ، إنِّي اضْطَلعتُ بإمَامة هَؤُلاء القَوم حينَ كَانَ النُّكوصُ إضَاعةً، وكان الخَطْوُ تَفريطًا، فشَهيدي اللهُ مَا كَانَ بقلبي إلَّا إيَّاه.

تَبلَّغتُ بصَحْفَتِهم[3]، وتعلَّلتُ بدرَّة لِقحَتِهم[4]، وأَقمتُ صَلَايَ[5] مَعهم في إدامتهم، لَا مُختالًا أَشِرًا، وَلَا مُكاثرًا بَطِرًا، لم أَعْدُ سدَّ الجُوعة، ووَرْي العَوْرَة[6]، وإقَامة القَوام، حاضِري الله مِن طوَى مُعضٍ[7] تَهفو مِنه الأحشَاءُ[8]، وتُجَبُّ لَهُ المِعَا[9]، واضطررتُ إلَى ذاك اضطرارَ البرِضِ[10] إلَى المَعْتبِ الآجِنِ[11].

---

1 هذا من الاستعمال المجازي؛ فالعرب تُجري على البنت النداء بالأم؛ تكريمًا لها، ومنه قولهم: «البنت أُمُّ أبيها»؛ دليلًا على شفقتها ورحمتها، أو أن يكون هذا من باب أنها ابنته وأم المؤمنين؛ فهو يخاطبها بهذه النِّسبة المُشرفة.

2 هكذا بالرفع، ولعله على تقدير حذف كان التامة، أي: إن كان فرح فهو دائم.

3 **التبلغ**: الاكتفاء بأيسر ما يلزم. **والصَّحْفَة**: قصعة الطعام.

4 **التعلل** كالتبلغ، **واللقحة**: الناقة. **ودرتها**: ما يُدر من لبنها.

5 الصَّلا: وسط الظهر. وإقامة صلاة: كناية عن استقامته.

6 أي: سترها. ومراده بذلك أنه اقتصر على أقل ما يكفي لقوته غير مستكثر.

7 أي: من جُوع محزن. ومعض من الأمر: شق عليه، وأوجعه

8 أي: تضعف.

9 **المِعَا**: واحد الأمعاء، وهي المَصَارين، وتُجَب: تنقطع.

10 الفقير. وبرض: أي: نفد ما عنده لكثرة عطائه.

11 الرديء المتغير من طعام وماء.

فإذا أنَا مِتُّ فرُدِّي إلَيهم صَحْفَتَهم، ولِقْحَتَهم، وعَبْدَهم، ورَحَاهُم، ودِثَارة مَا فَوقي اتَّقيتُ بِهِ أذَى البَرد، وَوِثَارة مَا تَحتي اتَّقيتُ بِهِ نِزَّ الأرضِ، كَانَ حشوُها قِطَعَ السَّعف المُشعِّ»[1].

قَالَ: ودخَل عَلَيهِ عُمرُ بنُ الخَطَّاب فقَالَ: «يا خَليفةَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَلَّفْتَّ القومَ بعدَك تَعبًا، وولَّيتَهم نَصَبًا، فهَيهاتَ مَنْ يَشُقُّ غُبارَك[2]، فكَيف باللِّحاقِ بكَ؟!»[3].

وقَالَ المَدائِنِيُّ: عَن مَسْلمَة بنِ مُحارِب، عَن عَبد المَلك بنِ عُمَير، قَالَ: قَالَت عَائِشَةُ يومَ الحكمَين[4]:

«رَحِمكَ اللهُ يَا أَبتِ! فلَئن أَقاموا الدُّنيَا لَقَد أَقمتَ الدِّين حَين وَهِي شَعْبُه، وتَفاقَمَ صَدْعُه[5]، ورَجفَت جَوانبُه، انقبضْتَ عمَّا إلَيه أَصغَوْا[6]، وشمَّرْتَ فِيمَا عَنه وَنَوا[7]، وأَصغَرتَ مِن دُنياك مَا أَعظمُوا، ورَغِبت بدِينِكَ عمَّا أَغفلوا، أَطالُوا

---

1 **السَّعف**: سعف النخل المعروف. **والمشع**: المنقوش، أي: الغير مضغوط.

2 أي: من يجري معك في ميدانك.

(3) أخرجه أبو يعلى في «معجمه»، برقم: (87)، وأخرجه ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (3/ 194).

4 بين يوم التحكيم الذي وقع بين علي ومعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ للاتفاق على وأد الفتنة والقتال بينهما؛ فقد أناب فيه عليٌّ أبا موسى الأشعري، وأناب معاويةُ عمرو بن العاص رضي الله عنهم جميعًا.

5 أي: حين ضعف، واتَّسَع خَرْقُه.

(6) **انقبضت**: أي: تراجعت. **وأصغوا**: أي: مالوا.

7 تأخروا.

عِنانَ الأَملِ، واقتعدتَ مَطِيَّ الحَذَر[1]، فلَم تَهتَضم دِينَك[2]، ولَم تَنسَ غَدَكَ؛ ففَاز عِند المُساهمَة قدَحُك[3]، وخفَّ ممَّا استَوزَرُوا ظَهرُك[4]»[5].

حَدَّثَنَا عَبدُ الله بنُ عَمرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحمد بنُ عُثمان الوركَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيد اللهِ بنُ مُحَمَّد التَّيمِيُّ، قَالَ: سَمعتُ أَبي يَقولُ: «لمَّا قُتل عُثمانُ أَقبَلَتْ عَائِشَةُ، فقَالَت: «أَقُتِلَ أميرُ المُؤمِنِينَ؟»، قَالُوا: نَعم.

قَالَت: «فرَحِمَه اللهُ، وغَفَر لَهُ، أَمَا -واللهِ- لَقَد كُنتُم إِلَى تَشييد-(**ويُروَى**: إِلَى تَسدِيد)- الحقِّ وتَأييدِه، وإِعزازِ الإِسلَام وتَأكيدِه، أَحوَج مِنكُم إِلَى مَا نَهضتُم إِلَيه مِن طاعَةِ مَن خَالَف عَلَيه، ولَكِن كلَّما زَادَكم اللهُ نِعمةً في دِينِكُم، ازددتُم تَثَاقُلًا في نُصرَته طَمَعًا في دُنياكُم.

أَمَا- واللهِ- لَهدمُ النِّعمَة أَيسَرُ مِن بِنائها، وما الزِّيادَة إِلَيكُم بالشُّكر بِأَسرَعِ مِن زَوال النِّعمة عَنكُمُ بالكُفر[6]، وايمُ اللهِ[7]، لَئِن كَانَ فَنِيَ أُكْلُه[8]، واختَرمَه

---

(1) **المطي**: جمع مطية، وهي الناقة التي يُركب مطاها، أي: ظهرها.

(2) أي: لم تنقص منه، أو تنتقص.

3 أي: فاز سهمُك عند المساهمة، وهي المسابقة، تُكَنِّي بذلك عن سبقه في ميدان العمل لصالح الدين والدنيا حتى فاق فضلُه على غيره.

(4) أي: خَفَّ ظهرُك مما وقعوا فيه من أوزار؛ فعافاك الله منها.

(5) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (30/ 442)، والدينوري في «المجالسة» (6/ 94).

6 كفر النعمة: سترها، أو عدم تصريفها في الوجوه المشروعة.

7 ايم الله: للقسم، والتقدير: يمين الله قسمي، ومثله: أما ويمين الله.

(8) أي: انقطع رزقه وحظه من الدنيا.

أَجَلُه[1]، لَقَد كَانَ عِند رسُول كَذِرَاع البِكر الأَزهَر[2]، ولَئن كانَت الإبلُ أكلَت أَوبارهَا[3]؛ إنَّه لصِهرُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولَقد عَهِدتُ النَّاس يَرهبون في تَشديدٍ، ثمَّ قُدِح[4] حبُّ الدُّنيَا في القُلُوب، ونُبذ العَدلُ[5] وراءَ الظُّهور، ولَئن كَانَ بَرَك عَلَيهِ الدَّهر بزَورِه[6]، وأناخَ عَلَيهِ بكَلكلِه[7]، إنَّها لنَوائب تَتْرَى[8]، تَلعبُ بأهلِها وهِيَ جادَّة، وتَجدُّ بِهم وهِيَ لَاعِبَة.

ولَعمري، لَو أنَّ أَيدِيَكُم- (**ويُروَى**: أَيدِيهم)- تَقرعُ صِفاتِه، لَوجدتُموه عِند تَلظِّي الحَرب مُتجرِّدًا[9]، ولسُيوفِ النَّصر مُتقلِّدًا، ولكِنَّها فِتنَةٌ قدحَت فِيهَا أَيدي الظَّالِمِين.

---

1 أي: قطعته مَنِيَّتُه.

2 **البكر**: الفَتِيُّ من الإبل. **والأزهر**: الأقوى.

3 هذا مَثَلٌ يُضرب لوقوع أشنع وأبعد ما يرتكبه المُعتدي، تريد أنه وإن كان حَصَل ما حصل، فإنه عثمانُ صِهر الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يُنكر فَضْلُه، ولا يَذهب دمُه هدرًا.

4 أي: اشتعل.

5 ويُروى: العهد.

6 بثقله.

7 **الكلكل**: وسط الصدر، وهي كناية عن الحِمل الثقيل الذي تَحَمَّلَه.

8 أي: تَتَابع وتَتَوَالى.

9 مجتهدًا متفرغًا.

أَمَا واللهِ، لَقَد حاطَ الإِسلَامَ وأَكَّدَه، وعَضَّدَ الدِّينَ وأَيَّده، وَلَقَد هَدَمَ اللهُ بِهِ صيَاصِيَّ الكُفرِ[1]، وقَطَعَ بِهِ دَابِرَ المُشرِكِين، ووَقَم بِهِ[2] أركانَ الضَّلالة، فلِلَّهِ المُصيبَةُ بِهِ مَا أَفجَعَها! والفَجيعَة بِهِ مَا أَوجَعَها!

صَدع اللهُ بمَقتَله صَفَاةَ الدِّين، وثَلَمت[3] مُصيبتُه ذروةَ الإِسلَام بَعدَه[4]، وجعَلَ لخَير الأُمَّة عَهده».

قَالَ: وعَليٌّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ جَالسٌ في القوم، فَلَمَّا قَضَت كَلامَها، قامَ وهُوَ يَقولُ: «أَرسَل اللهُ عَلَى قَتَلَتِه شِهابًا ثاقبًا، وعَذابًا وَاصِبًا[5]!».

ورُوي أَنَّ عَائِشَة كَانَت تَقولُ: «مَكارِمُ الأَخلاق عَشْرٌ، تَكون في العَبد دُون سيِّدِه، وفي الخَامِل دُون المَذكور، وفي المَسودِ دُون السَّيِّد:

صِدقُ الحَديث، وأَداءُ الأَمانَة، والصِّدقُ، والصَّبر في البَأسِ، والتَّذمُّم للصَّاحب[6]، والتَّذمُّم للجَارِ، والإِعطَاء في النَّائِبَة، وإِطعَام المِسكِين، والرِّفق بالمَملُوك، وبِرُّ الوَالِدَين».

---

1 **الصَّياصي**: جمع صيصة، وهي الحصن.

2 **الوَقم**: الكَسْر والتذليل.

3 كسرت.

4 **ذروة الشيء**: أعلاه.

5 **الثاقب**: المتقد. **والواصب**: الدَّائم.

(6) **التذمم**: حفظ الذِّمام والحُرمة والعَهد.

ويُروى: «مَكَارِم الأخلَاقِ عَشرَة: صِدقُ الحَديثِ، وصِدقُ البَأسِ، وأَدَاء الأَمَانَة وصِلَة الرَّحِم، والمُكَافَأَة بالصَّنِيعِ، وبَذلِ المَعرُوف، والتَّذمُّم للصَّاحِبِ، وقِرَى الضَّيفِ، ورَأسُهُنَّ الحَيَاءُ»(1).

(1) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (370/61).

obeikandl.com

كَلامُ فَاطِمة بِنت رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]

حَدَّثَنِي جَعفَر بن مُحَمَّدٍ؛ رَجُلٌ من أَهلِ ديَار مِصرَ؛ لَقِيته بِالرَّافِقة[2]، قَالَ: حَدَّثَنِي أبي، قَالَ: أَخبَرَنَا مُوسَى بن عِيسَى، قَالَ: أَخبَرَنَا عَبدُ الله بن يُونُس، قَالَ: أَخبَرَنَا جَعفَر الأَحمَر، عَن زَيد بن عَلِيٍّ، رَحمَةُ اللهِ عَلَيهِ، عَن عَمَّتِهِ زَينَب بِنت الحُسَين عَلَيهِمَا السَّلَام، قَالَت: «لَمَّا بَلَغَ فاطِمَة عَلَيْهَا السَّلَامُ إجمَاع أَبي بَكرٍ عَلَى مَنعِهَا فَدَك[3]، لَاثَت خمَارهَا، وخَرَجَت في حَشْدَة نِسَائِهَا، ولمَّة مِن قَومِهَا تجرُّ

---

(1) فاطمة الزهراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أم الحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، سيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء أهل الجنة، تزوجها عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في السنة الثانية من الهجرة، وماتت بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بستة أشهر، وقد جاوزت العشرين بقليل. «الإصابة في معرفة الصحابة» (8/ 53)، «تقريب التهذيب» (ص 751).

(2) **الرافقة:** بلدٌ متصل البناء بالرقة، وهما على ضفة الفرات، وبينهما مقدار ثلاث مائة ذراع. «معجم البلدان» (3/ 15).

(3) أي: إرثها من فَدَك، وهي قرية في الحجاز، كان يسكنها طائفةٌ من اليهود، و لمَّا فرغ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من خيبر، قذف الله عَزَّوَجَلَّ في قلوبهم الرعب، فصالحوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على فَدَك، فكانت مِلكًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنها مما لم يُوجف عليها بخيلٍ و لا رِكَاب.

=

أدرَاعهَا[1]، مَا تخرمُ مِن مشيَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ شَيئًا حتَّى وَقَفَت عَلَى أَبي بَكر، وهُوَ في حَشدٍ مِنَ المُهَاجِرين، والأَنصَار، فَأَنَّتْ أَنَّةً أَجْهَش لَهَا القَومُ بالبُكَاء، فَلَمَّا سَكَنَت فَورَتُهم[2]، قَالَت:

«أبدَأُ بحَمدِ اللهِ»، ثمَّ أسبَلَت بَينَهَا وبَينَهُم سَجْفًا[3]، ثمَّ قَالَت: «الحَمدُ للهِ عَلَى مَا أنعَمَ، وَلَهُ الشُّكرُ عَلَى مَا أَلهَمَ، والثَّناء بمَا قَدَّم من عمُومِ نِعَمٍ ابتَدَاهَا، وسُبُوغ آلَاءٍ أَسْدَاهَا[4]، وإحسَان مِنَنٍ وَالَاهَا، جَمَّ عَن الإحصَاءِ عَدَدُهَا[5]،

=

وقد أخرج البخاري (3711، 3712) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، أنَّ فاطمة عليها السلام أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فيما أفاء الله على رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، تطلب صدقة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ التي بالمدينة وفَدَك، وما بقي من خُمس خَيبر، فقال أبو بكر: إنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**لا نُورث ما تركنا فهو صدقةٌ، إنَّما يأكلُ آلُ مُحَمَّد من هذا المال**- يعني: مال الله- **ليس لهم أن يَزيدوا على المأكل**»، وإني والله لا أُغير شيئًا من صدقات النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ التي كانت عليها في عهد النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولأعملن فيها بِمَا عَمِل فيها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فتَشَهَّد عليٌّ، ثم قال: إنَّا قد عرفنا يا أبا بكر فَضِيلتك، وذَكر قَرابتهم من رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وحَقَّهم، فتكلم أبو بكر فقال: والذي نفسي بيده، لَقَرابة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَحَبُّ إليَّ أَن أَصِلَ مِن قَرَابَتي».

(1) **الأدراع:** جمع الدرع، والمعنى: تجرُّ ثيابها.

(2) أي: رَوعهم من البُكاء.

(3) أي: أرخت سترًا.

(4) **سُبُوغ النِّعم:** اتِّسَاعها. **والإسداء:** الإحسان.

(5) **جَمَّ:** كَثُر.

ونَاءَى عَن المُجَازَاة أَمَدُهَا[1]، وتَفَاوَتَ[2] عَنِ الإدرَاك آمَالُهَا، واسْتَثْنَ الشُّكر بفَضَائِلِهَا[3]، واستَحمَد إلَى الخَلَائِق بِأَجزَالِهَا، وثَنى بالنَّدب إلَى أمثَالِهَا[4].

وأشهد أن لَا إلَهَ إلَّا اللهُ؛ كَلِمَة جعلَ الإخلَاص تَأوِيلهَا، وضَمَّن القُلُوبَ مَوصُولهَا[5]، وأَنَّى في الفِكرَة مَعقولهَا[6]، المُمتَنع مِنَ الأبصَارِ رُؤيته، ومِن الأَوهَامِ الإحَاطَة بِهِ، ابتَدَعَ الأَشيَاءَ لَا مِن شَيءٍ قَبلَهُ، واحتَذَاهَا بِلَا مِثَالٍ[7]، لِغَير فَائِدَةٍ زَادَتهُ إلَّا إظهَارًا لِقُدرَتِهِ، وتَعَبُّدًا لبَرِيَّتِهِ، وإعزَازًا لِدَعوَتِهِ، ثمَّ جَعَلَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعتِهِ، والعِقَاب عَلَى مَعصِيَتِهِ زِيَادَة[8] لِعِبَادِهِ عَن نِقمَتِهِ، وجياشًا[9] لَهُم إلَى جَنَّتِهِ.

وأَشهَد أنَّ أبِي مُحَمَّدًا عَبدُهُ ورَسُولُهُ؛ اختَارَهُ قَبلَ أن يَجتَبِلَه[10]، واصطَفَاه

---

(1) **الأمد:** الغاية.

(2) تَبَاعَد.

(3) **استثن:** استحقَّ.

(4) **الندب،** مِن نَدَبه إلى الأمر: دعاه وحثَّه.

(5) **موصول كلمة لا إله إلا الله:** توحيده وخشيته.

(6) أَنَّى: أي: بَلَغ غايته.

(7) أي: قَدَّرها بلا شَبيه.

(8) أي: دفعًا لهم.

(9) أي: إقبالًا.

(10) يخلقه.

قَبلَ أن ابتعَثَه، وسَمَّاهُ قَبلَ أَن استَنجَبَهُ[1]؛ إذِ الخَلَائِقُ بِالغُيُوبِ مَكنُونَة، وبِسِترِ الأَهَاوِيل[2] مَصُونَة، وبنِهَايَةِ العَدَمِ مَقرُونَة عِلمًا مِنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بمَآيِلِ الأُمُورِ[3]، وإحَاطَةً بحَوَادِثِ الدُّهُورِ، ومَعرِفَةً بمَوَاضِعِ المَقدُورِ.

ابتعثَهُ اللهُ تَعَالَى عَزَّوَجَلَّ إتمامًا لِأَمرِهِ، وعَزِيمَة عَلَى إمضَاء حُكمِه، فرَأَى الأُمَم صَلَّى الله عَلَيه فِرَقًا فِي أَديَانِهَا، عُكَّفًا عَلَى نِيرَانِهَا، عَابِدَةً لِأَوثَانِهَا، مُنكِرَةً للهِ مع عِرفَانِهَا، فَأَنَارَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ ظُلَمَهَا، وفَرَّجَ عَن القُلُوب بُهمَهَا[4]، وجَلَّى عَن الأَبصَارِ غُممَهَا[5]، ثمَّ قَبَضَ اللهُ نَبِيَّه قَبضَ رَأفَة واختِيَار رَغبَة- بِأَبِي صَلَّى الله عَلَيه- عَن هَذِه الدَّار مَوضُوعٌ عَنهُ العِبء والأوزَار، مُحتَف بالمَلَائِكَة الأَبرَار، ومُجَاوَرَة المَلِك الجَبَّار، ورِضوَان الرَّبِّ الغَفَّارِ، صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ؛ نَبِيِّ الرَّحمَة، وأَمِينه عَلَى وَحيِهِ، وصَفِيِّهِ مِنَ الخَلَائِقِ ورَضِيِّه، صَلَّى اللهُ عليه ورَحمَة الله وبَرَكَاته.

ثمَّ أنتُم عبادَ الله- (تريدُ: أَهلَ المَجلِس)- نصب أمر اللهِ ونَهيه[6]،

---

(1) اختاره.

(2) **الأهاويل:** جمع أهوال، واحدها: هول. وهي المخافة من الأمر لا يُدري، تشير إلى حيرة الناس قبل بعثة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

(3) بمصائرها.

(4) شُبهها.

(5) ظُلَمها.

(6) أي: مستقبلين لهما.

وحَمَلَة دِينِهِ ووَحيِهِ، وأُمَنَاء اللهِ عَلَى أنفُسِكُم، وبُلَغَاؤه إلَى الأُمَم، زَعَمتُم حَقًّا لَكُم، آللهُ فِيكُم عَهدٌ قَدَّمَه إلَيكُم، ونَحنُ بَقِيَّة استَخلَفنَا عَلَيكُم، ومَعَنَا كِتَاب اللهِ بينةٌ بَصَائِرُه، وآيٌ فِينَا[1] مُنكَشِفَةٌ سَرَائِره، وبُرهَان مُنجَلِيَة ظَوَاهِره، مُدِيم البَرِيَّة إسمَاعه، قَائِد إلَى الرِّضوَان اتبَاعه، مؤدٍّ إلَى النَّجاة استِمَاعه، فيه بَيَان حُجَج اللهِ المُنوَّرة، وعَزَائِمَه المُفَسَّرَة، ومَحَارمه المُحَذَّرَه، وتبيانه الجَالِيَة[2]، وجُمَلَه الكَافِيَة، وفَضَائِلِه المَندُوبَة، ورُخصَه المَوهُوبَة، وشَرَائِعه المَكتُوبَة.

ففَرَضَ اللهُ الإيمَانَ تطهيرًا لَكُم مِنَ الشِّركِ، والصَّلَاة تَنزِيهًا، عَنِ الكِبرِ، والصِّيَام تَثبِيتًا لِلإخلَاصِ، والزَّكَاة تَزيِيدًا فِي الرِّزقِ، والحج تَسلِيَة لِلدِّين، والعَدل تَنَسُّكًا للقُلُوب، وطَاعتنَا نِظَامًا، وإمَامتنَا أَمْنًا مِنَ الفُرقَةِ، وحُبَّنَا عِزًّا للإسلَام، والصَّبر مَنجَاة، والقِصَاص حَقْنًا للدِّماء[3]، والوَفَاء بِالنَّذر تَعَرُّضًا للمَغفِرَة، وتَوفِيَة المَكَايِيل والمَوَازِين تَعبيرًا للنَّحسَة[4]، والنَّهي عَن شُربِ الخَمرِ تَنزِيهًا عَنِ الرِّجسِ، وقَذف المُحصَنَات اجتِنَابًا للَّعنَة[5]، وتَرك السرق إيجابًا للعِفَّة.

---

(1) أي: في توقير أهل البيت؛ كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: (□ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □) [الشورى:23].

(2) أي: فصاحته المبينة.

(3) قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: (تخ تم ته ثم □ جم □ حم□) [البقرة:179].

(4) تعبيرًا، مِن عبر الدِّرهم أو المَتاع: نَظَر ما وزنُها. **والنحسة:** مَبلغ أصل الشيء.

(5) لزومًا لها.

وحرَّمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الشِّركَ إخلَاصًا لَهُ بالرُّبُوبِيَّة.

فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تُمُوتُنَّ إلَّا وأَنتُم مُسلِمُونَ، وأَطِيعُوهُ فِيمَا أَمَرَكُم بِهِ، ونَهَاكُم عَنهُ، فَإنَّه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:28]».

ثمَّ قَالَت: «أيُّهَا النَّاس! أنَا فاطِمَةُ، وأبِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، أقُولُهَا عَودًا عَلَى بَدءٍ، ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:128].

وحَدَّثَنِي عَبدُ الله بن أَحمَد العَبدي، عَن حُسَين بنِ علوَان، عَن عَطِيَّةَ العَوفِيِّ: أنَّه سَمِعَ أبَا بَكرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومَئذٍ يَقُولُ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ: «يَا ابنَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالمُؤمِنِينَ رؤُوفًا رحِيمًا، وعَلَى الكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا، وَإِذَا عَزَوْنَاه[1] كَانَ أبَاك دُون النِّسَاء، وأَخَ ابْنِ عَمِّك[2] دُون الرِّجَالِ، آثَرَه عَلَى كُلِّ حَمِيمٍ[3]، وسَاعَدَه عَلَى الأَمرِ العَظِيم[4] لَا يُحِبُّكم إلَّا العَظِيم السَّعَادَة، وَلَا يُبغِضُكُم إلَّا الرَّدِيء الوِلَادَة.

وأنتُم عِترَةُ اللهِ[5] الطَّيِّبُون، وخِيرَة اللهِ المُنتَخَبُون، عَلَى الآخِرَة أَدِلَّتُنا، وبَابُ الجَنَّة لِسَالِكِنَا، وأَمَّا مَنعُكِ مَا سَأَلتِ، فَلَا ذَلِك لِي، وأَمَّا فَدَك، ومَا جَعَلَ

---

(1) أي: نَسَبْنَاه.

(2) أي: علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(3) أي: فَضَّلَه على كل قَريب.

(4) الجهاد في نُصرة الدِّين.

(5) أي: أولياؤه.

لَكِ أبُوك، فَإِن مَنَعتُكِ فَأَنَا ظَالِمٌ، وأَمَّا المِيرَاثُ، فقد تَعلَمِينَ أنَّه صَلَّى اللهُ عَلَيه قَالَ: «**لَا نُورَثُ، مَا أَبْقَينَاهُ صَدَقَةٌ**»[1].

قَالَت: «إنَّ اللهَ يَقُولُ عَن نَبِيٍّ مِن أنبِيَائِه: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم:6]، وقَالَ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل:16]؛ فهَذَانِ نَبِيَّانِ، وقَد عَلِمت أنَّ النُبُوَّةَ لَا تُورث، وإنَّما يُورث مَا دُونَهَا، فَمَا لِي أُمنَع إرثَ أبِي؛ أَأَنزَلَ اللهُ في الكِتَابِ إلَّا فَاطِمَةَ بِنتَ مُحَمَّدٍ، فَتَدُلَّنِي عَلَيه، فَأَقْنَع بِهِ».

فَقَالَ: «يَا بنتَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنتِ عَينُ الحُجَّة، ومَنطِق الرِّسَالَة، لَا يُدلِي بِجَوَابِكِ[2]، وَلَا أَدفَعُكِ عَن صَوَابِكِ، ولَكِن هَذَا أبُو الحَسَن بَينِي وبَينَكِ[3] هُوَ الَّذي أَخبَرَنِي بمَا تَفَقدتِ[4]، وأَنبَأَنِي بمَا أَخَذْتِ وتَرَكْتِ».

قَالَت: «فإن يَكُن ذَلِك كَذَلِك، فصَبرًا لمرِّ الحَقِّ، والحَمدُ للهِ إلَه

---

(1) أخرجه بنحوه البخاري (3092)، ومسلم (1759)، وأخرج البخاري (6730)، ومسلم (1758) أيضًا عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أنها قالت: «إنَّ أزواجَ النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين تُوفِّي رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَرَدْن أن يَبعثن عُثمان بن عَفَّان إلى أبي بكر، فَيَسألنه ميراثهن من النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ! قالت عائشة لهن: أَلَيس قد قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا نُورَثُ مَا تَرَكنا فَهُو صَدَقةٌ**».

(2) أي: لا يُحتج عليه.

(3) أي: عليٌّ زوجها رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا.

(4) طَلَبْتِ.

الخَلقِ»[1].

(1) أخرج البيهقيُّ بسنده في «السنن الكبرى» (6/ 491) عن الشَّعبيِّ أنَّه قال: «لَمَّا مَرِضَت فاطمةُ أتاها أبوبكر الصِّدِّيق فاستأذن عليها، فقال عليٌّ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يا فاطمةُ، هذا أبو بكر يَستأذن عليكِ! فقالت: أتحبُّ أن آذن له؟ قال: نَعَم. فَأَذِنَت له، فَدَخَلَ عَليها يَتَرَضَّاها، فقال: واللهِ ما تَركت الدَّارَ والمَالَ والأهلَ والعَشيره إلا ابتغاء مرضاة الله ومرضاة رسولِه ومَرْضَاتكم أهلَ البيت، ثم تَرَضَّاها حَتَّى رَضِيَتْ». وقال: «هَذَا مُرْسَلٌ حَسَنٌ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ».

وقال الحلبي في «سيرته» (3/ 478): «ومعنى هجرانها لأبي بكر رضي الله تعالى عنه: أنَّها لم تَطلب منه حاجة، ولم تَضطر إلى لقائه إذ لم يُنقل أنها رضي الله تعالى عنها لَقِيته ولم تُسَلِّم عليه ولا كَلَّمته، وروى ابنُ سَعد أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه جاء إلى بيت عليٍّ لما مَرضت فاطمة؛ فاستأذن عليها، فقال عليٌّ كَرَّم اللهُ وَجهه: هذا أبو بكر على الباب يَستأذن، فإن شئتِ أن تَأذني فَأْذَني! قالت: وذاك أحبُّ إليكَ! قال: نعم. فَأَذِنَت له- رضي الله تعالى عنه- فدخل، واعتذر إليها؛ فَرَضِيَتْ عنه، وأن أبا بكر- رضي الله تعالى عنه- صَلَّى عليها».

وهذا يدلُّ على أنَّ فاطمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَرَكَت مُخَاصمة أبي بَكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعَلِمَت أنَّ الحقَّ مَعه، وأذعنت له، وصَبَّرت نَفْسَها على ذلك، وقد تُوفِّيت على الرَّاجح بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بستة أشهر، وانشغلت في هذه الأشهر بالحُزن على أبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كَلَام أمِّ كُلثومٍ عَلَيْهَا السَّلَامُ[1]

عن سَعِيدِ بنِ مُحَمَّدٍ الحِمِيَرِيِّ أبُو مُعَاذٍ، عَن عَبدِ اللهِ بن عَبدِ الرَّحمَن؛ رَجُلٍ مِن أَهلِ الشَّامِ، عَن شُعبَةَ، عَن حذَام الأَسديِّ -وقَالَ مَرَّةً أخرَى: حَذيم- قَالَ:

قَدِمتُ الكُوفَةَ سنَة إحدَى وسِتِّين، وهِيَ السَّنَةُ الَّتي قُتِلَ فِيهَا الحُسَينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فرَأَيتُ نِسَاءَ أهلِ الكُوفَة يَومَئذٍ يَلتَدِمنَ مُهَتَّكَات الجُيُوبِ[2]، ورَأَيتُ عَلِيَّ بنَ الحُسَين عَلَيهِمَا السَّلَام، وهُوَ يَقُولُ بِصَوتٍ ضَئِيلٍ، وقَد نَحل مِن المَرَضِ:

---

(1) هي أُمُّ كُلثوم بنت عليِّ بن أبي طالب الهاشميَّة. أُمُّها فاطمةُ بنت النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وُلِدَتْ فِي حُدُودِ سَنَةِ سِتٍّ مِنَ الهِجْرَةِ، وَرَأَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَمْ تَرْوِ عَنْهُ شَيْئًا، خَطَبَهَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهِيَ صَغِيْرَةٌ، ثُمَّ تَزَوَّجها على مَهر أربعين ألفًا، وولدت له ابْنَيْه زيدًا ورُقيَّة، وماتت أُمُّ كُلثوم وولدُها في يومٍ واحد، أُصيب زيدٌ في حرب كانت بين بني عديٍّ، فخرج ليُصلَح بينهم؛ فَشَجَّه رجلٌ وهو لا يَعرفه في الظُّلمة، فعاش أيَّامًا، وكانت أُمُّه مَريضة فمَاتَا في يوم واحدٍ. «سير أعلام النبلاء» (3/ 500)، «الإصابة في تمييز الصحابة» (8/ 464).

(2) يلتدمن: يَلطمن. **ومُهتكات:** مُقَطَّعات. **والجُيُوب:** جمع جَيْب، وهو طَوْق القَميص.

«يَا أَهلَ الكُوفَة، إنَّكُم تَبْكُونَ عَلَينَا، فمَنْ قَتَلَنَا غَيركم[1]...».

ثمَّ ذَكَرَ الحَدِيثَ، وهُوَ عَلَى لَفظِ هَارُونِ بنِ مُسلمٍ[2].

وأخبَرَ هَارُون بنُ مُسلِم بن سَعْدَان، قَالَ: أَخبَرَنَا يَحيَى بنُ حَمَّادٍ البَصرِيُّ، عَن يَحيَى بن الحَجَّاج، عَن جَعفَر بنِ مُحَمَّدٍ، عَن آبَائِهِ عَلَيهم السَّلَام، قَالَ: «لمَّا أُدخلَ بِالنِّسوَة من كَربلَاء[3] إلَى الكُوفَة كَانَ عَلي بن الحُسَين- عَلَيهمَا السَّلَام- ضَئِيلًا قَد نَهَكَتهُ العِلَّةُ[4]، ورَأَيتُ نِسَاءَ أَهلِ الكُوفَة مُشَقَّقَات الجُيُوب عَلَى الحُسَين بن عَلِيٍّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فَرَفَعَ عليُّ بنُ الحُسَين بن عَلِيٍّ -عَلَيهم السَّلَام- رَأسَهُ، فقَالَ: «ألَا إنَّ هَؤُلاء يَبكِينَ؛ فمَن قَتَلَنَا؟».

وَرَأَيتُ أمَّ كُلثُومٍ عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ، ولَم أَرَ خَفِرة[5]- واللهِ- أنطَقُ مِنهَا[6]،

---

(1) لأنَّ أهلَ الكُوفة كانوا قد كَاتَبُوا الحُسَين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالبَيعة له ونُصرته على يزيد بن معاوية، ووعدوه بالقيام معه إن قَدِم إليهم؛ فلما أَتَاهم الحُسَين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ خَذَلُوه، فقَتَلَه عَسكرُ يَزيد.

(2) أي: كما في حديثه الآتي الذي ذِكره بقوله: «وأخبر هارون...»، إلخ.

(3) المَوضع الذي قُتِل فيه الحُسَيْنُ بن عَلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(4) أي: أضعفه المرض.

(5) الخَفِرة: الكثيرة الحياء.

(6) أَفْصَحُ نُطْقًا.

كَأَنَّما تَنطق وتُفرغ عَلَى لِسَانِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ[1]، وقد أَوْمَأَت إِلَى النَّاس أن اسكتُوا.

فَلَمَّا سَكَنَتِ الأنفَاسُ، وهَدَأَتِ الأَجرَاسُ[2] قَالَت: «أَبدَأُ بِحَمدِ اللهِ، والصَّلَاة والسَّلَام عَلَى جَدِّي، أَمَّا بَعدُ:

يَا أَهلَ الكُوفَةِ، يَا أَهلَ الخَتَرِ[3] والخَذَلِ، أَلَا فلَا رَقَأت العَبرَةُ[4]، وَلَا هَدَأَتِ الرَّنَّةُ[5]، إِنَّما مَثَلُكُم كمَثَلِ الَّتي نَقَضَت غَزلَهَا مِن بَعدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا، تَتَّخِذُونَ أيمَانَكُم دَخَلًا بَينَكُم[6]، أَلَا وَهَل فِيكُم إِلَّا الصَّلَف والشَّنف، ومَلق الإِمَاء، وغَمز الأَعدَاء[7]؟!

---

(1) المراد: أنَّها مِن فَصاحتها كأنَّ كلامَها ككلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) الأصوات.

(3) الغَدر والخَديعة.

(4) الدَّمعة قبل أن تَفيض. **ورقأت:** سَكَنَتْ.

(5) الصَّوت.

(6) الدَّخَل: الغَدْر، والخَديعةُ والمَكْر

وهو اقتباسٌ من قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل:92].

(7) **الصَّلَف:** الادِّعاء تَكَبُّرًا. والشَّنَف: البُغض والتَّنَكُّر. **وملق الإماء:** جِماع المَملوكات. **والغَمْز:** ظُهور العَيب، أو الطَّعن، أو التُّهمة.

وهَل أنتُم إلَّا كَمَرعَى عَلَى دِمنَةٍ[1]، وكَفِضَّة عَلَى مَلحُودةٍ[2]؟!

أَلَا سَاءَ مَا قَدَّمَت أَنفُسُكم أن سَخِطَ اللهُ عَلَيكُم، وفي العَذَابِ أنتُم خَالِدُونَ[3]!

أَتبكُونَ؟ إي واللهِ فابْكُوا، وأَنَّكم -واللهِ- أحرِيَاء بالبُكَاءِ[4]، فَابكُوا كَثِيرًا، واضحَكُوا قَلِيلًا؛ فَلَقَد فُزتُم بِعَارهَا وشَنَارِهَا[5]، ولَن تَرحضُوهَا[6] بغسل بَعدهَا أَبَدًا.

وأَنَّى تَرحضُونَ قتلَ سَلِيل خَاتم النُّبوَّة، ومَعدن الرِّسَالَة، وسَيِّد شُبَّان أهلِ الجَنَّة[7]، ومَنَار مَحَجَّتِكُم[1]، ومَدره حُجَّتكم[2]، ومَفرخ نَازِلَتكم[3]،

---

(1) **الدِّمنة:** آثارُ الدَّار بعد الرَّحيل عنها، فإذا نَبَتَ فيها زرعٌ كان أخضر ناضرًا؛ لخصوبة مَنبته من بقايا الدَّوَاب، والمُراد: إلا كَمَنْظَر حَسَن في مَنبت سُوء.

(2) مَدفونة، تُريد أنَّهم لا يُنتفع بهم.

(3) اقتباسٌ من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة:80].

(4) أي: جديرون.

(5) الشَّنار: أقبحُ العَيب. ويروى: «ذهبتم بعارها...»، إلخ.

(6) تطهروها.

(7) تعني: الحُسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وابن فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال عنه وعن أخيه الحَسَن: «**الحَسَنُ والحُسَينُ سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الجَنَّة**». أخرجه الترمذي (3768) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الترمذي» (2965).

فتَعسًا ونَكسًا!

لَقَد خَابَ السَّعيُ، وخَسرت الصَّفقَةُ، وبُؤتُم بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ، وضُرِبَت عَلَيكُم الذِّلَّةُ والمَسكَنَةُ، لَقَد جِئتُم شَيئًا إدًّا[4]، تَكَاد السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرنَ مِنهُ[5]، وتَنشَقُّ الأَرضُ، وتَخِرُّ الجِبَالُ هَدًّا[6].

أَتَدرُونَ أيَّ كَبِدٍ لرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَيتُم[7]، وأيَّ كَرِيمَةٍ لَهُ أَبرَزتُم، وأَيَّ دَمٍ لَهُ سَفَكتُم؛ لَقَد جِئتُم بِهَا شَوهَاء خَرقَاء[8] شَرّها طِلاع الأَرضِ والسَّمَاء[9].

أَفَعَجِبتُم أن قَطَرَتِ السَّمَاءُ دَمًا، ولَعَذَابُ الآخِرَةِ أخزَى، وهُم لَا

=

(1) **المنار:** العَلَم الذي يُهتدى به. والمَحجة: قصد الطريق.

(2) **المدره:** الشَّريف القَدْر، القويُّ الحُجَّة.

(3) **فَرخ رَوْعه:** أزاله عنه. **والنازلة:** المصيبة الشديدة.

(4) أي: شنيعًا مُنكرًا.

(5) يَتشققن منه.

(6) اقتباسٌ مِن قَول الله تَبارك وتَعالى: ﴿عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن﴾ [مريم:90].

(7) شَققتم.

(8) **شوهاء:** عابسة مشئومة. وخرقاء: من الخَرَق، وهو الإساءة في العمل.

(9) أي: ملؤهما.

يُنْظَرُونَ[1]؛ فَلَا يَستخفنَّكُمُ المَهَلُ، فَإنَّه لَا تحفزُهُ المُبَادَرَة[2]، وَلَا يخاف عَلَيه فَوت الثَّأر؛ كَلَّا إنَّ رَبَّكَ- لَنَا ولَهُم- لَبِالمِرصَاد». ثمَّ وَلَّت عَنهُم.

قَالَ: فَرَأيتُ النَّاسَ حَيَارَى، وقَد رَدُّوا أَيدِيَهُم إلَى أفوَاهِهِم، ورَأَيت شَيخًا كَبِيرًا من بَنِي جعفي، وقَد اخْضَلَّت[3] لِحيتُهُ مِن دُمُوعِ عَينَيهِ، وهُوَ يَقُولُ:

كُهُولهُم خَيرُ الكُهُول ونَسْلُهُم ... إذَا عُدَّ نَسلٌ لَا يَبُور وَلَا يُخزَى

وحَدَّثَنِيه عَبدُ الله بن عَمرٍو، قَالَ: حَدَّثَنِي إبرَاهِيمُ بن عَبدِ ربِّه بن القَاسِم بن يَحيَى بن مقدمٍ المقدميُّ، قَالَ: أَخبَرَنِي سَعِيد بن مُحَمَّد أبُو مُعَاذ الحِميَرِي، عَن عَبدِ اللهِ بنِ عَبدِ الرَّحمَن رَجُلٌ مِن أهلِ الشَّام، عَن حَذَام الأسديِّ، قَالَ: قَدِمتُ الكُوفَةَ سنَة إحدَى وسِتِّين، وهِيَ السَّنَة الَّتي قُتِلَ فِيهَا الحُسَين بن عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فرَأَيتُ نِسَاءَ أهلِ الكُوفَةِ يَومَئذٍ يَلتَدِمنَ مُهتكات الجُيُوبِ[4]، ورَأَيتُ عَلِيَّ بنَ الحُسَين عَلَيهِمَا السَّلَام، وهُوَ يَقُولُ بِصَوتٍ ضَئِيلٍ، وقَد نحل مِن المَرَضِ: «يَا أَهلَ الكُوفَة، إنَّكُم تَبكُونَ عَلَينَا، فمَن قَتلنَا غَيركم؟!».

---

(1) اقتباسٌ من قول الله جل جلاله عن قوم عَاد: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت:16].

(2) أي: لا تَدفعه المعاجلة. والضمير يُقصد به الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(3) ابْتَلَّت.

(4) سبق تفسير هذه الكلمات قريبًا.

وسَمِعتُ أمَّ كُلثُوم بِنت عَلِيٍّ عَلَيهما السَّلَام، وهِيَ تَقُولُ: «فَلَم أرَ خَفِرَةً – واللهِ- أَنطَقَ مِنهَا كَأَنَّمَا تَنزِعُ[1] عَن لِسَانِ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

وأَشَارَت إِلَى النَّاسِ أن أمسكُوا[2]، فسَكَنَتِ الأنفَاسُ، وَهَدَأَت، فقَالَت: «الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصَّلَاة عَلَى جَدِّي سَيِّد المُرسَلِينَ، أمَّا بَعدُ: يَا أَهلَ الكُوفَة...»، والحَدِيث عَلَى لَفظ ابنِ سَعدَان[3].

(1) سبق تفسير ما هنا أيضًا، وقوله: «كأنما تنزغ»، ويروى: «كأنما تُفرغ»، والمراد واحد.

(2) أي: اسكتوا.

(3) يعني الحديث السَّابق روايته قبل. وانظر «العواصم من القواصم» لابن العربي في (1/ 241)، و«التذكرة الحمدونية» لابن حمدون (6/ 264، 265).

obeikandl.com

كَلَامُ حَفصَة بِنت عُمَر بنِ الخَطَّابِ[1]

وقَالَ العُتبِيُّ: قَالَت حَفصَةُ بِنتُ عُمَر بنِ الخَطَّابِ في مَرَضِ أبِيهَا عُمَر: «يَا أَبَتَاه، مَا يُحزِنُكَ وِفَادَتك[2] عَلَى رَبٍّ رَحِيمٍ، وَلَا تَبِعَةَ[3] لأَحَدٍ عِندَكَ، ومَعِي لَكَ بِشَارَة لَا أُذِيعُ السِّرَّ مَرَّتَين، ونِعمَ الشَّفِيع لَكَ العَدل، لَم تَخْفَ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ خَشنة عِيشتك، وعَفَاف نَهمتك[4]، وأخذك بأَكظَام[5] المُشرِكِينَ والمُفسِدِين في الأَرضِ».

ثمَّ أنشَأَت تَقُولُ:

---

(1) هي أُمُّ المُؤمنين، حَفْصَةُ بنتُ عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تَزَوَّجَها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد خنيس بن حذافة سنة ثلاث، ومَاتت سنة خمس وأربعين من الهجرة. «الإصابة في تَمييز الصحابة» (8/ 85)، «سِير أعلام النبلاء» (2/ 227).

(2) قُدومك.

(3) شِبْه ظُلامة.

(4) شَهوتك.

(5) جمع كظم، وهو مَخرج النَّفس. والجملة كناية عن تَضييقه على المُشركين وشِدَّته عليهم.

أَكظَـــم الغُلَّـــة المُخَالطَـــة القَلْـــ ... ـــب وأُعَـزِّي وفي القُـرآنِ عَزَائِـي [1]
لَـــم تَكُـــن بَغتَـــةً وَفَاتُـــكَ وَجْـــدًا ... إنَّ مِيعَـــاد مَـــن تَـــرَى للفَنَـــاء

وَوَجدتُ في بَعضِ الكُتُبِ: أنَّ حَفصَةَ بنتَ عُمَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ خَطَبَت بَعدَ قَتلِ أبِيهَا:

«الحَمدُ للهِ الَّذي لَا نَظِيرَ لَهُ، والفَرد الَّذي لَا شَرِيكَ لَهُ، وأمَّا بَعدُ:

فكُلُّ العَجَبِ مِن قَومٍ زَيَّن الشَّيطَانُ أَفعَالَهم، وارعَوَى إلَى صَنِيعِهِم، ورَبَا[2] في الفِتنَةِ لَهُم، ونَصب حَبَائِلَه لختلهم، حَتَّى هَمَّ عَدُوُّ اللهِ[3] بِإحيَاءِ البِدعَةِ، ونَبْشِ الفِتنَةِ، وتَجدِيد الجَورِ بعدَ دُرُوسِهِ، وإظهَاره بَعد دُثُورِهِ[4]، وإرَاقَة الدِّمَاء، وإبَاحَة الحمى[5]، وانتِهَاك مَحَارِمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بَعدَ تَحصِينِهَا[6]، فَأَضْرَى

---

(1) الغلة: حرارة الحزن. وكظمها: حبسها ورَدُّها، وفي القرآن عزائي- تريد قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: 155، 156].

(2) ارعوى إلى كذا: نَزع إليه. ورب: أي: زاد ولَزِم.

(3) لختلهم، أي: لخداعهم، وعدو الله: تريد به الشيطان، كما يقتضيه سياقُ الكلام، ونَسَقُه الآتي.

(4) انمحائه.

(5) **الحمى:** ما حُمي وحُفِظ من الشيء. وإباحته: ضد حمايته.

(6) أي: المُبَالغة في ارتكاب ما حَرَّم اللهُ. ولعلها رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا تُشِير في كلِّ ذلك إلى ما كان بعد وفاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من الخلاف حول الخليفة، ومن ارتداد بعض قبائل العَرب، ويدلُّ على ذلك إشارتها فيما سيأتي إلى سَبْق أبيها في مُبايعة أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا حَسْمًا للفتنة.

وهَاج، وتَوَغَّر وثَارَ[1] غَضَبًا، ونُصرَة لِدِينِ اللهِ، فَأَخْسَأَ الشَّيطَانَ، ووَقَمَ كَيدَهُ، وكفف إرَادَتَه، وقَدعَ مِحنَتَه، وأَصْعَر خَدَّه[2] لِسَبقِهِ إلَى مُشَايَعة أَولَى النَّاس بِخِلَافَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3]، المَاضِي عَلَى سُنَّتِهِ، المُقتَدِي بِدِينِهِ، المُقتَص[4] لِأَثَرِهِ.

فَلَم يَزَل سِرَاجُهُ زَاهِرًا[5]، وضَوؤُه لَامِعًا، ونُورُهُ سَاطِعًا، لَهُ مِن الأَفعَال الغرر، ومِنَ الآرَاءِ المَصَاص[6]، ومِن التَّقَدُّم في طَاعَةِ اللهِ اللُّبَاب، إلَى أن قَبَضَهُ اللهُ إلَيهِ، قَالِيًا لمَا خَرَجَ مِنهُ[7]، شَانِيًا لما تَرَكَ مِن أمرِهِ، شَيِّقًا لِمَن كَانَ فِيهِ[8]،

---

(1) **أضرى:** أسرع. **وتوغر:** تَوَقَّد غيظًا. **وثار:** هاج. تُشير بذلك إلى حماسة أبيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحزمه في الأمور.

(2) يقال: أخسأه: طَرَدَه وأَبْعَده. **وَقَمَه:** رَدَّه أقبح رَدٍّ. **وكفف إرادته:** مَنَعَها. **وقَدَعَه:** كَفَّه. وأَصْعَر خَدَّه، أي: أَذْهَب كِبْرَه.

(3) **المُشايعة:** المُناصرة والمُتابعة. وأولى الناس بخلافة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: أحقهم بها، تريد أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(4) المُتَتَبِّع.

(5) مُتلألأ.

(6) الخالص.

(7) أي: كارهًا للدُّنيا. **شانئًا:** مُبْغِضًا.

(8) لمن كان فيه، أي: في الأمر؛ أَمْر سِياسة الدِّين وأهلِه، تُريد النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي: أنَّه مُشتاق إلى اللحوق برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

صَبًّا إِلَى مَا صَارَ إِلَيهِ[1]، وَائِلًا[2] إِلَى مَا دَعَا إِلَيهِ، عَاشِقًا لمَا هُوَ فيهِ[3].

فَلَمَّا صَارَ إِلَى الَّتي وَصَفْتُ، وعَاينَ لمَا ذَكَرْتُ أَومَأَ بِهَا إِلَى أَخِيهِ في المعدلَة، ونَظِيره في السِّيرَة، وشَقِيقه في الدِّيَانَة[4]، ولَو كَانَ غَيرَ الله أَرَادَ لَأَمَالَهَا إِلَى ابنِه، ولَصَيَّرَهَا في عَقِبِهِ[5]، ولَم يُخرجهَا مِن ذُرِّيَّتِهِ، فَأَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وقَامَ فِيهَا بقِسْطِهَا[6] لَم يُؤْدِه ثِقلُهَا، ولَم يُبهظه[7] حِفظُهَا، مُشَرِّدًا للكُفرِ عَن مَوطِنِهِ، ونَافِرًا لَهُ عَن وَكْرِهِ[8]، ومُثِيرًا لَهُ من مَجثَمِهِ[9].

حتَّى فَتَحَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى يَدَيهِ أَقطَار البِلَاد[10]، ونَصَرَ اللهُ بقدمِهِ[11]، ومَلَائِكَته تكنفُهُ[12]، وهُوَ باللهِ مُعتَصِمٌ[1]، وعَلَيه مُتَوَكِّلٌ، حتَّى تَأَكَّدَت

---

(1) **الصَّب**: المُحب.

(2) مُبادرًا.

(3) أ:ي ما صار إليه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أمر الموت.

(4) تريد أباها عمر، وكان أبو بكر عَهِد له بالخلافة مِن بعده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(5) أي: في أولاده.

(6) فاعل (أَخَذَ وقَامَ): أبوها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **والقِسط**: العَدل. لم يَوده، من الوئيد: وهو الإبطاء.

(7) يثقله.

(8) **مشردًا:** طاردًا ومُفرقًا. **ونافرًا:** مُهَيِّجًا له عن عُشِّه.

(9) مكانه الذي لزمه.

(10) نواحيها.

(11) أي: صَنيعه ومَرتبته في الفضل.

(12) تحيط به.

عُرَى الحَقِّ عَلَيكُم عَقدًا، واضمَحَلَّت عُرَى البَاطِلِ عَنكُم حلًّا.

نُورُه في الدجنَاتِ[2] سَاطِع، وضَوؤه في الظُّلُمَاتِ لَامِع، قَالَيًا للدُّنيَا إذ عَرَفَهَا، لَافظًا لَهَا إذ عَجمهَا[3]، وشَانيًا لَهَا إذ سَبَرَهَا[4]، تَخطبه ويَقلَاهَا، وتُريدُهُ ويَأبَاهَا لَا تطلبُ سِوَاهُ بَعلًا، وَلَا تَبغِي سِوَاه نحلًا[5] أَخبَرَهَا أنَّ الَّتي يخطُبُ أرغَد[6] مِنهَا عيشًا، وأنضَر مِنهَا حبورًا، وأدرم مِنهَا سرورًا، وأبقى مِنهَا خُلُودًا[7]، وأَطول مِنهَا أيَّامًا، وأَغدَق[8] مِنهَا أَرضًا، وأَنعت[9] مِنهَا جَمَالًا، وأَتَم مِنهَا بلهنية، وأَعذَب مِنهَا رَفهنيَّة[10]، فبَشَعَت نَفسه بِذَلِك لعادَتِهَا[11]، واقشعَرَّت مِنهَا لمُخالفَتهَا، فعَرَكَهَا[12] بِالعَزم الشَّدِيد حتَّى أجَابَت، وبالرَّأيِ

=

(1) ممتنع.

(2) الظُّلُمَات.

(3) **قاليًا**: كارهًا أشد الكراهة. **ولافظًا**: راميًا.

(4) **عجمها**: جَرَّبها. **وشانيًا**: مبغضًا. **وسَبرها**، أي: اختبرها..

(5) أي: زوجًا، أو عطاء.

(6) أخصب وأطيب.

(7) بقاء.

(8) أخصب وأروى.

(9) أفضل منها وصفًا.

(10) **البلهنية والرفهنية**: رفاهة العيشة ورغدها.

(11) **بشعت لعادتها**: عبست للدنيا.

(12) **عركها**: فَركها لِيُخضعها.

الجَلِيدِ[1] حتَّى انقَادَت.

فَأَقَامَ فِيهَا دَعَائِم الإِسلَام، وقَوَاعِد السُّنَّة الجَارِيَة، وَرَوَاسِي الآثَارِ المَاضِيَة[2]، وأعلَام أخبَار النُّبُوَّة الظَّاهِرَة، وظَلَّ خَمِيصًا[3] مِن بَهجَتِهَا قَاليًا لِأَثَاثِهَا[4] لَا يَرغَبُ في زبرجهَا[5]، وَلَا تَطمَحُ نَفسُهُ إِلَى جدَّتِهَا.

حتَّى دَعِيَ فَأَجَابَ، ونُودِيَ فأطَاع، عَلَى تلكَ مِنَ الحَالِ، فاحتَذَى[6] في النَّاسِ بِأَخِيهِ[7]، فَأَخرَجَهَا مِن نَسلِهِ وصَيَّرَهَا شُورَى بَينَ إِخوَتِه[8]، فبِأَيِّ أفعَالِه تتعَلَّقُون[9]، وبأَيِّ مذَاهبِهِ تتمَسَّكُون؟ أبِطَرَائقِه القَوِيمَة في حَيَاتِه أم بِعَدلِهِ فِيكُم عِندَ وَفَاتِهِ؟

ألهَمَنَا اللهُ وإِيَّاكُم طَاعَته»[10].

---

(1) **الجليد**: القوي الشديد.

(2) **الدَّعائم**: جمع دعامة، وهي عماد البيت ونحوه. **والرواسي**: الثوابت.

(3) جائعًا، أو خاليًا.

(4) متاعها.

(5) زينتها.

(6) اقتدى.

(7) تريد أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(8) أي: كبار الصحابة.

(9) تختصمون.

(10) وانظر «أعلام النساء»، لعمر رضا كحالة (1/ 275- 277).

obeikandl.com

كَلَامُ الزَّرقَاء بِنتِ عَدِيٍّ[1]

وقَالَ عِيسَى بنُ مِهرَان: حَدَّثَنِي العَبَّاسُ بن بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن عُبَيدِ اللهِ، عَنِ الشَّعبِيِّ، قَالَ: وحَدَّثَنِي أَبُو بَكرٍ الهُذَلِيُّ، عَنِ الزُّهرِيِّ، قَالَ:

حَدَّثَنِي جَمَاعَةٌ مِن بَنِي أُمَيَّةَ مِمَّن كَانَ يسمرُ مَعَ مُعَاوِيَة، وذَكَرَ أَبُو إسحَاق إبرَاهِيم بن عَبدِ اللهِ بن عَبدِ رَبِّهِ بن القَاسِم بن يَحيَى بن مقدمٍ، قَالَ: أَخبَرَنِي مُحَمَّدُ بنُ فَضلٍ المَكِّيُّ الضَّبِّيُّ، قَالَ: أَخبَرَنَا مُحَمَّدٌ الشَّافِعِيُّ صَاحِب الرِّيِّ، عَن أَبيهِ مُحَمَّد بن إبرَاهِيمَ، عَن خَالِد بن الوَلِيدِ المَخزُوميِّ، عَن سَعدِ بن حُذَافَةَ الجُمَحِيِّ، قَالَ:

«سَمَرَ مُعَاوِيَةُ لَيلَةً، فَذَكَرَ الزَّرقَاء بنتَ عَدِيِّ بنِ غَالِبِ بنِ قَيسٍ؛ امرَأَةً كَانَت مِن أَهلِ الكُوفَةِ، وكَانَت مِمَّن يُعِينُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوم صِفِّين، فقَالَ لِأَصحَابِه: أَيُّكُم يَحفَظُ كَلَامَ الزَّرقَاء؟

---

(1) الزَّرقاءُ بنتُ عَدي من رَبَّات الفَصاحة والبَلاغة والعَقل والرَّأي، نَاصَرت عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم صِفِّين؛ **قال ابنُ عساكر:** «زرقاء بنت عدي بن مُرَّة الهَمدانية الكُوفية؛ امرأةٌ فَصيحة اسْتَقْدَمها معاويةُ بن أبي سفيان، فَقَدِمَت عليه، وكانت له معها مُحاورة». «تاريخ مدينة دمشق» (69/ 165).

فقَالَ القَومُ: كُلُّنَا نَحفَظُهُ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ.

قَالَ: «فَمَا تُشِيرُونَ عَلَيَّ فِيهَا؟».

قَالُوا: نُشِيرُ عَلَيكَ بِقَتلِهَا.

قَالَ: بِئسَ مَا أَشَرتُم عَلَيَّ بِهِ! أَيَحسُنُ بِمِثلِي أن يَتَحدَّثَ النَّاس أنِّي قَتَلتُ امرَأَةً بعدَمَا ملكتُ، وصَار الأَمرُ لِي.

ثُمَّ دَعَا كَاتبه فِي اللَّيلِ، فَكَتَب إِلَى عَامِلِهِ فِي الكُوفَةِ: «أن أَوْفِدْ إِلَيَّ الزَّرقَاء ابنَة عَدِيٍّ مَعَ ثِقَةٍ مِن مَحرمِهَا، وعِدة من فِرسَانِ قَومِهَا، ومَهِّدْهَا وِطَاءً لَيِّنًا، واسترهَا بِسترٍ حَصِيفٍ[1]».

فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيهِ الكِتَابُ، رَكِبَ إِلَيهَا، فَأَقرَأَهَا الكِتَابَ، فقَالَت: «أَما أَنَا، فَغَير زَائِغَة عَن طَاعَةٍ، وإن كَانَ أميرُ المُؤمِنِينَ جَعَلَ المَشِيئَةَ إِليَّ، لَم أَرُم[2] مِن بَلَدِي هَذَا، وإن كَانَ حُكمُ الأَمرِ، فَالطَّاعَةُ لَهُ أَولَى بِي.

فَحَمَلَهَا فِي هَودَج، وجَعَل غِشَاءَه حَبِرًا مُبَطَّنًا بعَصَب اليَمَن[3]، ثمَّ أحسَنَ صُحبَتَهَا.

---

(1) مَهِّدها: وَطِّأها، أي: هَيِّئ لها وطاء، أي: فِرَاشًا. والحصيف: المُحْكم. ويُروى: «خصيف»، أي: غليظ.

(2) أي: لم أفارق.

(3) أي: ثَوبٌ مُخَطَّط، وهو نوعٌ من بُرود اليَمن فيه حُمرة وبَياض، جمع برد.

وفي حَدِيثِ المقدمِيِّ: «فحمَلَها في عمَارِيَّة جَعَلَ غشَاءَهَا خزًّا أدكَن[1] مُبَطَّنًا بقوهي[2]».

فَلَمَّا قَدِمَت عَلَى مُعَاوِيَة، قَالَ لَهَا: «مَرحبًا، وأهلًا خير مَقْدَمٍ قَدِمَه وافدٌ، كَيفَ حَالُكِ يَا خَالَة؟ وكَيفَ رَأيتِ مَسِيرَكِ؟».

قَالَت: خير مَسِيرٍ، كأنِّي كنتُ ربِيبَة بيتٍ، أو طفلًا مُمَهَّدًا.

قَالَ: بذَلِكَ أمرتُهُم، فهَل تَعْلَمِين لِمَ بَعثتُ إليكِ؟

قَالَت: سُبحَانَ الله، أنَّى لِي بعلمِ مَا لم أعلَمْ؟! وهل يَعْلَمُ مَا في القُلُوب إلَّا الله؟!

قَالَ: بَعَثْتُ إليكِ أَن أَسْأَلَكِ: ألستِ رَاكبَة الجَمَلَ الأحمَر يَوم صِفِّين بينَ الصَّفَّيْنِ[3] تُوقِدِين الحَربَ، وتَحُضِّين عَلَى القتَال، فمَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِك؟

قَالَت: يَا أمِيرَ المُؤمِنِينَ، إنَّه قد ماتَ الرَّأسُ، وبُتِرَ الذَّنب[4]، والدَّهر ذو غِيرٍ[5]، ومن تَفكَّرَ أبصَرَ، والأَمرُ يَحْدُثُ بعدَهُ الأمرُ.

---

(1) من الدُّكنة، وهي لونٌ أميل إلى السَّواد.

(2) القوهي: ضرب من الثياب بيض

(3) أي: بين الصَفَّين المُتقاتلين.

(4) ويُروى: وبقي الذَّنب.

(5) أي: أحداث مُتغايرة.

قَالَ لَهَا: صَدَقتِ؛ فهل تَحفَظِين كَلَامَك يومَ صِفِّين؟

قَالَت: مَا أحفَظُهُ.

قَالَ: ولكنِّي- واللهِ- أَحْفَظُهُ، للهِ أَبُوكِ! لَقَد سَمعتُكِ تَقولِينَ: «أيُّهَا النَّاس، إنَّكم في فِتْنَةٍ غَشتكُمُ جَلَابيبُ الظُّلمِ، وجَارت بِكُم عَن قَصْدِ المَحَجَّةِ[1]، فيَا لَهَا مِن فِتنةٍ عَميَاء صمَّاء، يُسمَع لِقَائِلِهَا، وَلَا يُنظَار لسَائِقِهَا[2].

أيُّها النَّاسُ: إنَّ المِصبَاح لَا يُضيءُ في الشَّمسِ، وإنَّ الكَوكبَ لَا يقد في القَمرِ، وإنَّ البَغْلَ لَا يَسْبِقُ الفَرسَ، وإنَّ الزَّفَّ[3] لَا يُوازِن الحَجَرَ، وَلَا يَقطَع الحَدِيد إلَّا الحَديدِ، أَلَا مَنِ استرشدَنَا أَرشدنَاهُ، ومَن استَخبَرنَا أَخبَرنَاه.

إنَّ الحقَّ كانَ يطلب ضَالَّته فَأصابَها؛ فَصبرًا يَا مَعشَر المُهَاجِرين والأنصَار! فكَان قَد اندَمَل شِعْبُ الشَّتَات[4]، والتَأَمَتِ كَلِمَةُ العَدلِ، وغَلَب الحقُّ بَاطِلَه، فلا يَعجَلَنَّ أحدٌ فيقول: كَيفَ؟! وأنَّى؟! ليقضِيَ اللهُ أمرًا كَانَ مفعُولًا.

أَلَا إنَّ خضَابَ النِّسَاء الحِنَّاءُ، وخِضَابَ الرِّجَال الدِّمَاءُ، والصَّبرُ خَيرٌ في

---

(1) **المَحَجَّة**: الطَّريق المُستقيم.

(2) أي: لا يُهمل.

(3) **الزف**: صغير الرِّيش، أو صغير الحصى. والمراد من هذه العبارات: أنَّ الفرق بين مُعاوية وعليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كالفرق بين المِصباح والشَّمس... إلخ، تعني أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أفضل.

(4) **اندمل**: الْتَأَمَ. **والشِّعب**: الصَّدع، أو الشق. والشَّتات: التفرق.

الأمورِ عوَاقبًا.

إيهًا إلَى الحربِ قُدُمًا[1] غَير نَاكِصِين، فهَذَا يومٌ لَهُ مَا بَعدَهُ.

ثمَّ قَالَ مُعَاوِيَة: واللهِ -يَا زَرقَاء- لَقَد شركتِ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ في كلِّ دَمٍ سَفَكَهُ.

فقَالَت: أَحْسَنَ اللهُ بشَارَتك يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، وأدامَ سلامتَك، مِثلُك مَن بشَّرَ بخيرٍ، وسَرَّ جَلِيسَهُ.

قَالَ لَهَا: وقد سَرَّكِ ذَلِك؟».

قَالَت: «نَعَم، واللهِ، لَقَد سرَّني قولُكَ، فأنَّى بتصديقِ الفعلِ؟

فقَالَ مُعَاوِيَة: واللهِ، لَوَفَاؤُكم لَهُ بَعدَ مَوتِهِ أحبُّ إليَّ مِن حبِّكُم لَهُ في حَيَاتِهِ! اذكُرِي حَاجَتَكِ؟

قَالَت: يَا أميرَ المُؤمِنِينَ، إنِّي قد آلَيْتُ عَلَى[2] نَفسِي، ألَّا أسأَلَ أميرًا أَعَنْتُ عَلَيهِ شيئًا أبدًا، ومِثْلُك أَعطَى عَن غَير مَسألَةٍ، وجَادَ عَن غيرِ طلَبٍ.

قَالَ: صَدَقتِ!

فَأَقْطَعَهَا ضَيعةً أَغَلَّتْهَا[3] في أوَّل سنةٍ عَشرَة آلافِ دِرهَمٍ، وأَحْسَنَ

---

(1) إيهًا: كلمة إغراء. وقُدُمًا، أي: مُتَقَدِّمين.

(2) أي: حَلَفْتُ.

(3) أي: أَفَادتها، والغلة: ما يخرج من الأرض.

صَفدَها[1]، وردَّهَا- والَّذين مَعَهَا- مُكرمِينَ»[2].

(1) عطاءها.

(2) أخرجه العبَّاس بن بكَّار الضَّبي في «أخبار الوافدات من النساء على معاوية» (ص 63- 66)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (69/ 165- 167)، وهو حديث موقوف.

obeikandl.com

كَلَامُ عُجوزٍ مِن وَلَدِ الحَارِثِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ[1]

وحَدَّثَنِي عَبدُ اللهِ بنُ عمر، وقَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن أبي عَلِيٍّ البَصرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أميَّةُ بنُ خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبدُ الرَّحمَن بن مَالِكٍ الأَنصَارِيُّ، عَن أَبيهِ: أنَّه قد سَمِعَ شَيخًا لهُم يَقُولُ:

«قَدِمَ إبرَاهِيمُ بن مُحَمَّدٍ المَدِينَةَ، فَأَتتهُ عَجُوزٌ مِن ولَدِ الحَارِثِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ، فشَكَت إلَيهِ ضَنكَ المَعِيشَة، قَالَ: «مَا يحَضُرُنِي الكَثِيرُ، وَلَا أَرضَى لَكِ بالقَلِيلِ، وأَنَا عَلَى ظَهْرِ سَفَرٍ، فاقبَلِي مَا حَضَرَ، وتَفَضَّلِي بِالعُذْرِ.

ثمَّ دعا مَولًى لَهُ[2]، فقَالَ: ادفعْ إلَيهَا مَا بَقِيَ من نَفَقَتِنَا، وخُذِي هَذَا العَبدَ والبَعِيرَ.

فقَالَت: بِأَبِي أَنتَ وأُمِّي، أجزَلَ اللهُ في الآخِرَةِ أَجْرَكَ، وأَعْلَى في الدُّنيَا كَعْبَكَ، ورَفَعَ فِيهِمَا ذِكرَكَ، وغَفَرَ لَكَ يَومَ الحِسَابِ ذَنبَكَ، فَأنتَ- واللهِ- كمَا قالَت أُمُّ جَمِيل بنتُ حَربِ بنِ أُمَيَّةَ:

---

(1) الحارث بن عبد المُطَّلب بن هَاشم الهاشمي، عَمُّ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(2) أي: عبدًا مملوكًا.

زيـــــنُ العَشِـــــيرَةِ كُلهَـــــا ... في البَـــــدوِ مِنهَـــــا والحَضَـــــر

ورَئِيسُـــــــهَا في النَّائِبَـــــــا ... تِ وفي الرِّحَـــــالِ[1] وفي السَّـــــفَر

وَرِثَ المَكَـــــــارِم كُلَّهَـــــــا ... وعَـــــلَا عَلَـــــى كُـــــلِّ البَشَـــــر

ضَـــخم الدَّسِـــيعَةِ[2] مَاجِـــد[3] ... يُعطِـــي الجَزِيـــلَ بِـــلَا كَـــدَر»[4]

(1) **الرِّحال:** جمع رَحْل، بمعنى المَسكن.

(2) **الدسيعة:** الجفنة الواسعة، والمعنى: أنَّه كريم.

(3) **الماجد:** الشَّريف الفِعال، الكريم الآباء.

(4) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (7/ 207، 208).

obeikandl.com

[كَلَامٌ لنِسَاءٍ مُتفَرِّقَاتٍ]

كَلَامُ الجُمَانَة بنت المُهَاجِر[1]:

حَدَّثَنِي عَبدُ الله بنُ شَبِيبٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الزُّبَير بنُ أَبي بَكرٍ، عَن مُحَمَّدٍ، بن محمد، عَن عَبدِ الرَّحمَنِ بنِ الحَسَنِ، عَن عَمِّهِ:

أنَّ الجُمَانَة بنتَ المُهَاجر بنِ خَالِد بن الوَلِيدِ نظَرَت إلَى عَبدِ الله بنِ الزُّبيرِ، وهُوَ يَرْقَى المِنبرَ يَخطُب بالنَّاس في يومِ جُمُعَةٍ، فقَالَت حِينَ رَأَته رَقَى المِنبَرَ:

أَيَا نَقَّار، انْقُر يَا نَقَّار[2]، أمَا- واللهِ- لَو كَانَ فَوقَه نَجِيبٌ من بَنِي أُمَيَّةَ، أو

---

(1) هي الجمانة بنت المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي، كان غلاما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد الجمل مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفقئت عينه بها، وقتل معه بصفين. «أسد الغابة» (5/ 265)، و«تاريخ دمشق» (61/ 262، 263).

وأما الجمانة ابنته فلا يُعلم عنها شيئًا سوى هذا الخبر. انظر: «نثر الدر في المحاضرات» لأبي سعد الآبي (4/ 58، 59).

(2) النَّقر: اضطراب اللِّسان. وبالكسر: مُرَاجعة في الكلام. والمراد: أنَّها تُعَرِّض بعبدِ الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنَّه ليس بالخطيب الذَّرب اللسان.

صقرٌ مِن بنِي مَخزُومٍ، لقَالَ المِنبَرُ: طِيق طِيق[1].

قَالَ: فأنمي[2] كَلَامهَا إلى عَبدِ الله بن الزُّبيرِ، فَبَعَثَ إِلَيهَا، فَأُتِي بِهَا، فقَالَ لَهَا: «مَا الَّذي بَلَغَنِي عَنكِ يَا لَكَاع[3]».

قَالَت: الحَقَّ أُبْلِغتَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ؟

قَالَ: فمَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِك؟

قَالَت: لَا تَعدِمُ الحَسنَاءُ ذَامًّا، والسَّاخِط لَيسَ برَاضٍ، ومَعَ ذَلِك، فمَا عَدَوتُ[4] فِيمَا قُلتُ لَكَ أنْ نَسَبتُكَ إلَى التَّوَاضُع والدِّين، وعدوَّك إلَى الخُيلَاء والطَّمَع، ولَئِن ذَاقُوا وَبَالَ أمرِهِم لتحمدنَّ عَاقِبَة شَأنِكَ، ولَيسَ مَن قَالَ فَكذبَ كمَن حَدَّثَ فصَدَقَ، وأنتَ بالتَّجَاوُز[5] جَدِيرٌ، ونَحن للعَفوِ مِنك أهلٌ، فاستُرْ عَلَى الحُرمَةِ تَستَتِم النِّعمَة، فواللهِ، مَا يَرفَعُكَ القَولُ وَلَا يضعُك، وإنَّ قُرَيشًا لتَعلَم أنَّك عَابدهَا، وشُجَاعهَا، ولِسَانهَا.

---

(1) طيق: حكاية صَوت الحجر. والمراد: أنَّه ضعيفٌ لا يَملأ فَرَاغ المنبر، ولو كان غيره خطيبًا من بني أمية، أو بني مخزوم لاهتز المِنبر من كلامه.

(2) من نمى الحديث: أي: ارتفع.

(3) أي: يا حمقاء.

(4) جاوزت.

(5) أي: الاحتمال وعدم المؤاخذة.

حَاطَ[1] اللهُ دُنيَاكَ، وعَصَمَ أُخرَاكَ، وأَلهَمَكَ شُكرَ مَا أَولَاك».

[كلام زينب بنت عليٍّ:]

حَدَّثَنِي أَحمَد بن جَعفَر بن سُلَيمَان الهَاشِمِيُّ، قَالَ: «كَانَت زَينَبُ بنت عليٍّ تقُولُ: «مَن أَرَاد أن يكُونَ الخلقُ شُفَعَاءَهُ إِلَى اللهِ فليَحمَدهُ؛ ألم تَسمَع إِلَى قولهِم: «سَمِعَ اللهُ لمَن حَمِدَهُ». فخَفِ اللهَ لقُدرَتِهِ عَليكَ، واستَحِ مِنهُ لقُربِهِ مِنكَ».

[كلام أُمِّ أعرابيٍّ له:]

ذَكَرَ الرِّيَاشِيُّ، عَن الأصمَعِيِّ، عَن أَبَان بن تغلبَ، قَالَ: «خَرَجتُ في طَلَبِ الكلأَ[2]، فانتهَيتُ إِلَى مَاءٍ من مِيَاه كَلب، وَإِذَا أعرابِيٌّ عَلَى ذَلِك المَاء، ومَعَه كتَاب مَنشُور يَقرَؤُه عَلَيهِم، وجَعَلَ يَتَوَعَّدهم، فقَالَت لَهُ أمُّه، وهِيَ في خِبَائِهَا، وكَانَت مُقعَدَةً كِبَرًا:

«وَيْلَكَ! دَعنِي مِن أَسَاطِيرِكَ[3]، لَا تَحْمِلْ عقوبتك عَلَى مَن لَم يَحمِلْ علَيكَ، وَلَا تَتَطَاوَلْ عَلَى مَن لَم يَتَطَاوَلْ عَلَيكَ، فإِنَّكَ لَا تَدرِي مَا تُقربكَ إِلَيهِ حَوَادِثُ الدُّهُورِ، ولَعَلَّ مَن صَيَّرَكَ إِلَى هَذَا اليَومِ أن يُصَيِّرَ غَيرَكَ إِلَى مِثلِهِ غَدًا؛ فيَنتَقِمُ منكَ أكثَر مِمَّا انتَقَمتَ منهُ، فاكفُف عمَّا أسمَع مِنكَ؛ أَلَم تَسمَعْ إِلَى قَولِ

(1) أي: حَفِظَ وتَعَهَّد.

(2) العشب.

(3) أحاديثك التي لا نظام لها.

obeikandl.com

الأَوَّلِ:

لا تُعَــادِ الفَقِيــرَ عَلَّــكَ أَنْ تَــرْ كَــعَ يَومًــا والــدَّهرُ قَــد رَفَعَــه

قَالَ أبَان: فقَضَيتُ العجبَ مِن كَلَامها وبَلَاغتها».

[كلام أعرابيَّة بليغة:]

وقَالَ الرِّيَاشِيُّ: عَن الأَصمَعِيِّ، عَن أَبَان بن تغلبَ، قَالَ: «جَلَستُ إلَى أَعرَابِيَّة كَانَت تُعرَفُ بِالبَلَاغَة، فمَرَّ بِهَا رَجُلٌ من قَومِهَا يَسحَبُ حُلَّة عَلَيه، فقَالَت: «يَا صَاحِبَ الحُلَّةِ[1]، إنَّ الكَرَمَ واللُّؤمَ لَيسَا في بُردَتِكَ هَذِه، ولكنَّهَا تَحتَهَا، فَليَحسُن فِعْلُكَ يحسُن لِبَاسُك، ولَو لَبِستَ طِمْرًا[2] مَا شَانَكَ».

[كلام وَلَّادَة العَبدِيَّة:]

حَدَّثَنِي عَبدُ اللهِ بن أَحمَد بن حَربٍ، عَن أَسْعَد بنِ المُفَضَّلِ بن مهزمِ بنِ خَالِدٍ، عَن مَهدِيٍّ قَالَ: «قُلتُ لوَلَّادَة العَبدِيَّة، وكَانَت مِن أعقَلِ النِّسَاء: إنِّي أريدُ الحَجَّ، فَأَوْصِينِي؟

قَالَت: أَأُوجِز فَأبلغُ، أم أُطِيلُ فأحكُم؟.

فقُلتُ: بمَا شِئتِ.

فقَالَ ابنُ أخٍ لَهَا: الحُلَّةُ لِبَاسٌ؛ فاخلَعِي عَلَيه.

---

(1) **الحُلَّة:** رداء، ولا تكون الحلة إلا من ثوبين، أو من ثوب له بطانة.

(2) **الطِّمْرُ:** الثوب البالي.

فقَالَت: جُد تَسُدْ، واصبِرْ تَفُزْ.

قلت: أيضًا، **قَالَت**: لَا يتعَدَّ غَضَبُكَ حِلمَكَ، وَلَا هَوَاكَ عِلمَكَ، وقِ[1] دِينَك بدُنيَاكَ، ووَفِّر عِرَضك بعَرَضكَ[2]، وتَفضَّلْ تُخدَمْ، واحلمْ تُقَدَّم.

قُلتُ: فمَن أستَعِينُ؟

قَالَت: الله.

قُلتُ: مِن النَّاس؟

قَالَت: الجَلِدُ[3] النَّشِيطُ، والنَّاصِح الأَمِين.

قلتُ: فمَن أستَشِيرُ؟

قَالَت: المُجَرِّب الكَيِّس[4]، أو الأَدِيب، ولو الصَّغير.

قُلتُ: فَمَن أَستَصحِبُ؟

قَالَت: الصَّديق المُلمُّ، أو المُداجِي المُتكرِّم[5].

---

(1) (قِ)، أي: احفظ؛ فعل أمر من (وَقَى).

(2) **العَرَض**: المال والمتاع.

(3) القوي.

(4) العاقل.

(5) المُلِمُّ: الذي يُوالي زيارة صديقه. والمُدَاجي: المداري.

obeikandl.com

ثمَّ قَالَت: يَا ابنَاه، إنَّك تَفِدُ إلَى مَلِكِ المُلُوكِ[1]؛ فانظُر: كَيفَ يكُونُ مَقَامُكَ بَينَ يَدَيهِ».

[كلام بعض الأعرَابيَّات:]

❁ عُمَرُ بنُ شَبَّة، قَالَ: حَدَّثَنِي أَحمَدُ بنُ مُعَاوِيَة، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّد بن داوُد بن عَلِيٍّ، وأبُوه جُعف اليَمَامِيُّ، وأَحمَد بن الحَارِث، عَن مُحَمَّد بنِ زِيَادٍ الأعرَابِيِّ قَالَا:

«وقَفَتِ امرَأَةٌ من الأعرَاب مِن هوَازِن عَلَى عبد الرَّحمَنِ بن أَبي بَكرة، فقَالَت: أصلَحَكَ اللهُ! أقبَلتُ مِن أرضٍ شَاسِعَةٍ[2]، تَرفَعُنِي رَافِعَة، وتخفضُنِي خَافِضَة بملحاتٍ مِنَ البِلَادِ[3]، ومُلمَّاتٍ مِنَ الدُّهُور[4] بَرَينَ عَظمِي، وأَذهَبن لَحمِي، وتَركنَنِي وَالِهًا[5]، وأنزَلْنَنِي إلَى الحَضِيضِ، وقد ضَاقَ بي البَلَدُ العَرِيضُ؛ لَا عَشِيرَة تَحمِينِي، وَلَا حَمِيم يَكْنفنِي[6].

---

(1) أي: تَقْدُم على الله ربِّ العالمين.

(2) بعيدة.

(3) يقال: مكان لاح، أي: ضيق.

(4) **الملمات:** الشدائد.

(5) والهًا، من الوله: وهو الحُزن والذُّهول.

(6) أي: يحميني.

فَسَألتُ في أحيَاءِ العَرَب: مَن المَرجُو سيبهُ[1]، المَأمُون غيبهُ، المَكفِيُّ سَائِلُهُ، الكَرِيمَةُ شمَائِلُهُ، المأمُولُ نَائِلُهُ[2]؟

فَأُرشِدتُ إلَيكَ، وأنَا امرَأَةٌ من هوَازِن، مَاتَ الوَافِد[3]، وغَابَ الرَّافِد[4]، ومِثلُكَ مَن سَدَّ الخلَّة[5]، وفكَّ الغلَّة[6]، فاصنَعْ إحدَى ثَلاثٍ: إمَّا أن تُقِيمَ مِن أَوَدِي[7]، أو تُحسِنَ صَفدِي[8]، أو تَرُدَّنِي إلَى بَلَدِي.

قَالَ: بل أَجمَعهُنَّ لَكِ، وحبًّا[9]» [10].

❁ وقَالَ العَبَّاسُ بن الفَرج الرِّيَاشي: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بن عبَّادٍ المِهبَلِيُّ، قَالَ: وَقَفَت أعرَابِيَّة، فقَالَت: «بَعُدَت شُقَّتِي، وظَهَرَت محَارِمِي، وبَلَغ نَسِيسي[11]،

---

(1) **سيبه:** عطاؤه.

(2) **نائله:** جوائزه.

(3) **الوافد:** الذي كان يفد عليها، أي: يقبل عليها بجوائزها.

(4) **الرافد:** المعين والمعطي.

(5) **الخلة:** الحاجة والفقر.

(6) **الغلة:** حرارة العطش.

(7) الأود: المُعوج، ويقيمه: يصلحه.

(8) **الصفد:** العطاء.

(9) منصوب بفعل محذوف، أي: أفعل ذلك حُبًّا في بِرِّك.

(10) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (38/ 137).

(11) **الشقة:** النَّاحية. والمراد: بلدها. **والمحارم:** ما يَحرم انتهاكُه وظهوره منها. **والنسيس:** بقية =

واللهُ سَائِلُكُم عَن مَقَامِي».

❁ وحَدَّثَنِي هَارُونُ بن مُسلِمٍ، عَن العُتبِيِّ، قَالَ: سَأَلتْ أَعرَابِيَّةً، فقَالَت: «سَائِلتُكُم تَسأَلُكُم القَلِيلَ الَّذي يُوجِبُ لَكُم الكَثِيرَ، ورَحِمَ اللهُ واحِدًا أَعَانَ مُحِقًّا».

❁ حمَّاد بن إسحَاقَ، عَن أَبيهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي النَّضر بنُ حَدِيدٍ، عَن العتبيِّ، قَالَ: «وَقَفَت عَلَينَا أَعرَابِيَّة، فَقَالَت: يَا قَومِ، تَغَيَّرَ بنَا الدَّهرُ؛ إذ قَلَّ مِنَّا الشُّكرُ، ولَزِمَنَا الفَقرُ، فَرَحِمَ اللهُ مَن فَهِمَ بعَقلٍ، وأعطَى مِن فَضْلٍ، وآثرَ مِن كَفَافٍ[1]، وأعانَ عَلَى عَفَافٍ»[2].

=

الروح، وبلغ نسيسه: كاد يموت.

(1) **الكفاف من الرزق:** ما كفى صاحبه، وأغناه عن الناس. وقولها: «وآثر من كفاف» مقتبس من قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:9].

(2) وانظر هذه الأقوال أيضًا في «نثر الدر» للآبي (6/ 54، 55).

opelkandl.com

قِصَّة أمِّ مَعبدٍ، ووَصفهَا النَّبيَّ ﷺ وبَلاغتها في صِفَتِهِ[1]

حَدَّثَنِي عَبدُ الله بن عمر، عَن الحَسَن بن عُثمَان، قَالَ: حَدَّثَنِي بشرُ بن مُحَمَّد بن أبان بن مُسلِمٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عبدُ المَلِكِ بن وَهبٍ المذحجيُّ الكُوفِيُّ، عَن الحر بنِ التَّيَّاح النَّخَعِيِّ، عَن أَبيهِ، عَن مَعبدٍ الخُزَاعِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ لَيلَةَ هَاجَرَ مِن مَكَّةَ إِلَى المَدِينَة، ومعَه أَبُو بَكرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعَامِر بن فُهَيرة.

وفي روايَةٍ أخرَى، قَالَ: وحَدَّثَنَا مكرمُ بن محرزِ بن المَهديِّ بن عَبدِ الرَّحمَن بن عَمرِو بن خُوَيلدٍ الخُزَاعِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أبي محرز بن المَهدِيِّ، عَن حزامِ بن هشَامٍ، وحبيشٍ، عَن أَبيهِ هِشَام، عَن جدِّهِ حبَيشِ بن خَالِدٍ صَاحِبِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّه- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ- حين أُخرِجَ مِنهَا مهاجرًا إِلَى المَدِينَةِ هُو وأَبُو بَكرٍ، ومَولى أبي بكر عَامر بن فُهيرَة، ودَليلهمَا اللَّيثي عَبد

---

(1) **أم مَعبد:** صحابية جليلة، واسمها: عاتكة بنت خالد بن خليد الخزاعية، وكُنيت بابنها مَعْبَد، وهي مَشهورة بكنيتها، نَزَلَ عليها النبيُّ ﷺ في طريق هجرته إلى المدينة، ووصفته بهذه الأوصاف البَليغة. انظر «الإصابة» (1/ 61)، (7/ 177)، و«الاستيعاب» (ص 141).

اللهِ بن أُرَيقِط، فمرُّوا عَلَى خَيمَةِ أمِّ مَعبدٍ الخُزَاعِيَّة، وكَانَتِ امرَأَةً بَرْزَة جَلدَة[1] تَحتَبِي بفِنَاءِ الكَعبَةِ[2]، ثمَّ تسقِي وتُطعم؛ فسَأَلُوهَا لَحمًا وتَمرًا، لِيَشتَرُوهُ مِنهَا، فَلَم يُصِيبُوا عِندَهَا شَيئًا مِن ذَلِك، وكَان القَومُ مُرْمِلِينَ مُسنِتِينَ[3].

فنَظَر رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلَى شاةٍ في كسرِ الخَيمَةِ[4]، فقَالَ: «**مَا هَذِه يَا أُمَّ مَعبدٍ؟**». قَالَت: «شَاةٌ خَلَّفَهَا الجهدُ[5] عَن الغَنَمِ»، قَالَ: «**هَل بِهَا مِن لَبَنٍ؟**»، قَالَت: «هِيَ أجْهَدُ من ذَلِك». قَالَ: «**أتأذَنِينَ لِي أن أَحلِبَهَا؟**»، قَالَت: «بأبي وأمِّي أنت! نَعَم، إن رَأَيتَ بِهَا مِن حلبٍ؛ فاحلِبْهَا».

فدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالشَّاةِ، فمَسَحَ ضَرعَهَا، وسَمَّى اللهَ، ودعا لَهَا في شاتِهَا، فتَفَاجَّت عَلَيه[6]، ودَرَّت[7]، واجْتَرَّت[8]، ودعَا بإنَاءٍ يربضُ

---

(1) **امرأة برزة، أي:** كهلة جليلة تَبرز للنَّاس في عفاف. **وجلدة،** أي: قوية.

(2) **احتبى بالثوب:** اشتمل به. وفناء الكعبة: ما اتَّسَع أمامها.

(3) أي: محتاجين مُجْدِبين.

(4) أي: في ناحية منها.

(5) أي: أجهدها الهزال.

(6) أي: وسَّعت ما بين رِجْلَيها، وبَاعَدت إحداهما عن الأخرى، وهذا هو سلوك الشاة عند الحلب.

(7) صَبَّت اللبن.

(8) من الاجترار، وهو ما يفيض به البعير ونحوه من مَعدته؛ فيأكله ثانيًا، وهذا دليل الصِّحة.

obeikandl.com

الرَّهط[1]، فحَلبَ فِيهِ ثَجًّا حتَّى غَلَبَهُ الثُّمَال[2]، ثمَّ سَقَاهَا حتَّى روِيَت، وسَقَى أصحَابَه حتَّى رووا، ثمَّ شربَ آخرَهُم، وقَالَ: «**سَاقِي القَومِ آخرُهُم**»[3]، فشَرِبُوا جَمِيعًا عِلَلًا بَعد نَهلٍ[4].

ثمَّ أراضُوا[5]، ثمَّ حلبَ فِيهِ ثانيًا عودًا عَلَى بدءٍ حتَّى ملأَ الإنَاءَ، ثمَّ غادَرَه عندَهَا، وبايعَهَا[6]، وارتحَلُوا عنهَا.

فقلَّ مَا لَبِثَت حتَّى جَاءَ زوجُهَا أبُو مَعبَدٍ يَسُوقُ أعنُزًا حيلًا[7] عِجَافًا[8] هزَالًا، مُخُّهُنَّ قَلِيلٌ، وَلَا نقي بهنَّ[9]، فَلَمَّا رأى أبُو معبَدٍ اللَّبَنَ، وقَالَ: «مِن أينَ هَذَا، يَا أمَّ معبَدٍ، والشَّاة عَازِبَة حِيال[10]، وَلَا حَلُوبَةَ في البَيتِ؟».

فقَالَت: «لا، واللهِ، إلَّا أنَّه مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ، كَانَ من حَدِيثِهِ كَيت،

---

(1) أي: يَكفيهم. والربص: ما يَكفي الإنسان من اللبن. والرهط: من سبعة إلى عشرة.

(2) ثجًّا، مِن ثج الماء: سال. **والثمال**: الرَّغوة.

(3) أخرج هذا اللفظ مسلم (681) من حديث أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة أخرى.

(4) النَّهل: أَوَّلُ الشُّرب. والعلل: الشرب بعد الشرب تباعًا.

(5) طابت نفوسهم.

(6) أي: أخذ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها عَهْد دُخولها في الإسلام، وطاعتها له.

(7) من حال يحيل تَغَيَّر، أو من صارت إبله حائلًا فلم تَحمل.

(8) أي: نحافًا.

(9) **النقي**: المخ. والمعنى: هزيلات مريضات قليلات اللحم.

(10) أي: لم تحمل.

وكَيتَ».

قَالَ: «صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعبَدٍ».

فقَالَت: «رَأَيتُ رجلًا ظَاهِرَ الوَضَاءَة، أبلَج الوَجهِ، حَسَنَ الخُلُقِ، لم تَعِبْهُ ثجلة، ولم تُزرِيه صَقلَة، وسِيمًا قَسِيمًا[1]، في عَينَيه دَعَجٌ، وفي أشفَارِهِ وَطَفٌ[2]، وفي صَوتِه صحلٌ، وفي عُنُقِهِ سطعٌ، وفي لِحيَتِهِ كَثَاثَةٌ[3]، أحوَر، أكحَل، أزج، أقرَن[4]، إن صَمَتَ فعَلَيه الوَقَار، وإن تكلَّم سَمَا وعلَاه البهَاء؛ فهُو أجمَل النَّاس، وأبهَاه مِن بعيدٍ، وأحلَاه وأحسَنُهُ من قَريبٍ، حلوُ المَنطِقِ؛ فَصْلٌ، لَا نَزْر، وَلَا هَذر[5]، كَأنَّ مَنطِقَهُ خرَزَات نَظْمٍ يتحَدَّرنَ، رَبْعَةٌ، لَا تَشْنَؤُه مِن طُولٍ، وَلَا تَقتَحِمُهُ عَينٌ مِن قِصَرٍ[6]، غُصْنٌ بينَ غُصْنَين؛ فهو أَنْضَر الثَّلَاثَة مَنظرًا،

(1) **الوضاءة:** رَونق الحُسن. أبلج الوجه، أي: مُشرقه، أو طَلْقه. والثجلة: عظم البَطن واسترخاؤه. والصقلة: خفة اللحم. والمراد: أنَّه مُتوسط الجسم. والوسامة كالقسامة، بمعنى الحُسن، أو أَثَر الحُسن.

(2) **الدعج:** سَوَاد العَين مع سَعَتِها. **والأشفار:** أُصُول مَنبت الشَّعر في الجفن. **والوطف:** كثرة شَعر العينين.

(3) **الصحل:** خشونة الصَّوت. وسطع العنق: طوله. وكثاثة اللحية: كثرة شعرها.

(4) **الأحور،** من الحور وهو شِدَّة سَواد العَين في شِدَّة بياضها. **والأزج** مِن الزَّجج وهو دِقَّة الحواجب في طول. **والأقرن:** المُتَّصل رَأْسَي حَاجِبيه.

(5) **الفصل:** الحقُّ مِن القول. لا نذر ولا هذر، أي: لا قليل الكلام ولا كثيره.

(6) **الرَّبْعة:** ما كان متوسطًا في جسمه، وقامته بين الطَّويل والقصير. **لا تَشنؤه،** أي: لا تَستقبحه. **ولا تقتحمه،** أي: لا تحتقره.

وأحسنُهم قَدًّا، لَهُ رُفَقَاء يَحُفُّون بِهِ[1]، إن قَالَ أَنْصَتُوا لِقَولِهِ، وإن أَمَرَ تَبَادَرُوا إلَى أمرِهِ؛ محفُودٌ محشُودٌ، لَا عَابِسَ وَلَا مُفَنَّد[2]».

قَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: «هو -واللهِ- صَاحِب قُرَيشٍ الَّذي ذكرَ لنَا مِن أمرِهِ بمَكَّة مَا ذكرَ، ولو كُنتُ وَافَقتُهُ[3] لالتَمَستُ صُحبَتَهُ، ولَأَفعَلَنَّ إن وجدتُ إلَى ذَلِك سبيلًا».

قَالَ: وأصبَحَ صوتٌ بمَكَّة عاليًا بين السَّماء والأرض، يسمَعُون الصَّوتَ، وَلَا يَدرُون من يَقُولُهُ، وهُوَ يَقُولُ:

جَـزَى اللهُ رَبُّ النَّـاسِ خَيـرَ جَزَائِـهِ ... رَفِيقَـين قَـالَا خَيمَـة أمَّ مَعبَـدِ[4]
هُمَـا نـزلَا بِـالبرِّ وارتَحَـلَا بِـهِ ... ففَـازَ الَّـذي أَمسَـى رَفِيـق مُحَمَّـد
فَيَـا لَقُصَـيٍّ مَـا زَوَى اللهُ عَـنكُمُ ... بِـهِ مِـن فعَـالٍ لَا يُجَـارَى وسُـؤدد[5]

---

(1) أي: يُحدقون به، ويَلتفون حوله.

(2) **محفود،** أي: مخدوم. **والمَحشود:** الذي يجتمع الناس حوله لخدمته. والعابس: الكالح الوجه المُقطَّب. والمفنَّد: المَنسوب إلى الجهل وقِلَّة العقل، من الفَنَد، أي: الخَرَف.

(3) قابلتُه.

(4) قالا مِن القَيلولة، وهو النزول في القائلة (الظَّهيرة) عند شِدَّة الحَرِّ؛ للاستراحة والنوم، وغير ذلك.

(5) قصي بن كلاب: أبو قبيلة من العرب. وزوى: أبعد. وفِعال: الحُسن والكرم. والسؤدد: السِّيادة. والمعنى: أنَّه فاتهم هذا الخير من وجود النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم، ونزوله عليهم.

لِـيَهْنَ بَنِـي كَعـبٍ مَقَـام فتَـاتهم ... ومَقعَـدهَا لِلمُـؤمِنِينَ بمَرصَـد[1]
سُـلُوا أُختـكُم عَـن شَـاتِهَا وإنَائِهَـا ... فَـإنَّكُم إن تَسـأَلُوا الشَّـاةَ تَشـهَد
دَعَاهَـا بِشَـاة حَائِـلٍ فتَحَلَّبَـت ... لَهُ عَن صَرِيح ضرَّةِ الشَّاةِ مزبد[2]
فغَادَرَهَـا رَهنًـا لَـدَيهَا لِحَالِـبٍ ... يُرَدِّدُهَـا فِي مَصـدَر ثُـمَّ مـورد

قَالَ: فأصبَحَ النَّاسُ قد فَقَدُوا نَبِيَّهُم صَلَّى اللهُ عَلَيه، وأخذُوا عَلَى خَيمَةِ أُمِّ مَعبَدٍ، حتَّى لَحِقُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَجَابَهُ حسَّان بن ثَابِتٍ:

لَقَـد خَـابَ قَـومٌ زَالَ عَـنهُم نَبِـيُّهُم ... وقُدِّسَ مَن يَسرِي إلـيهِم ويَغتَـدِي[3]
تَرَحَّـل عَـن قَـومٍ فَضَـلَّت عُقُـولُهُم ... وحَـلَّ عَلَـى قَـومٍ بنُـور مُجَـدد
هَـدَاهُم بِـهِ بَعـدَ الضَّـلالَة رَبُّهُـم ... وَأَرشَـدَهُم مَـن يَتبـعُ الحَـقَّ يرشـد
وهَـل يَستَوِي ضـلَالُ قَـومٍ تَسَـفَّهُوا ... بهَـادٍ يَقتَـدِي بِـهِ كُـلُّ مُهتَـدِي[4]
وقَـد نَزَلَـت مِنـهُ عَلَـى أَهـلِ يَثـرِبَ ... رِكَـاب هُـدى حَلَّـت عَلَـيهم بِأَسـعَد
نَبِـيٌّ يَـرَى مَـا لَا يَـرَى النَّـاسُ حَولَـه ... ويَتلُـو كِتَـابَ اللهِ فِي كُـلِّ مَشـهَدِ
فَـإن قَـالَ فِي يَـومٍ مَقَالَـة غَائِـبٍ ... فتَصدِيقُهَا فِي اليَومِ أو فِي ضُحَى الغَدِ

---

(1) بنو كعب: هم عشيرة أم مَعبد. والمرصد: الطريق. والمعنى: هنيئا لهم هذا الشرف الذي حاذوه بضيافة ابنتهم أم مَعبد للنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(2) الحائل: التي لم تحمل منذ سنين. وضرة الشاة: ضرعها. والمزبد مِن الزبد، وهو رغوة اللبن.

(3) يسري من السَّرى، وهو سَير عامة الليل. **ويغتدي**: يُبَكِّر. والغدوة البكرة، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس.

(4) تَسَفَّهُوا، أي: حملوا أنفسهم على السَّفه وهو الجهل، ونقيض الحلم.

لِـيهن أبَـا بَكـر سَـعَادَة جَـدِّه[1] بصُـحبَتِهِ مـن يُسـعَد الله يَسـعَد

ويهـن بَنِـي سَـعد مَقَـام فَتـاتهم ومَقعَـدهَا للمُـؤمِنِينَ بمَرصـد[2]

سَمِعتُ مُحَمَّد بن حبيبٍ مَولَى ابنِ هشَامٍ يذكُرُ عَن أبي عَبد الله مُحَمَّد بن زيَادٍ الأَعرَابِيِّ، قَالَ: قِيلَ لأَمِيرِ المُؤمِنِينَ عليِّ بنِ أبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَيفَ لَم يَصِفْ أَحَدٌ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا وَصَفَتهُ أمُّ مَعبَدٍ؟! فقَالَ: «لأنَّ النِّسَاء يَصِفنَ الرِّجَالَ بِأَهوَائِهِنَّ[3]؛ فيَجِدْن في صِفَاتِهِنَّ».

(1) الجد: النَّصيب.

(2) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (3/ 10) برقم (4274)، وصححه، ووافقه الذهبي.

(3) المراد: بعواطفهن؛ فيكون ذلك أدعى للإجادة وقوة التأثير.

openkandil.com

قصَّة رُؤيَا رَقِيقَة بنت نباتة[1]، وبَلَاغَتهَا في قصصِها

حدَّثُونَا عَن يَعقُوب بنِ مُحَمَّدٍ الزُّهرِيِّ، عَن عَبدِ العَزيزِ بنِ رَبِيعٍ، وعن أبي حُوَيصَةَ، قَالَ: تَحَدَّثَ مخرمَةُ بنُ نوفلٍ: أنَّ أمَّه رَقِيقَة بِنتَ نباتَةَ، وكَانَت لِدَة[2] عَبدِ المُطَّلِبِ قَالَت:

«تَتَابَعَت عَلَى قُرَيشٍ سُنُونَ أَقْحَلَتِ[3] الضَّرعَ، وأرقَّتِ العَظمَ، فبَينَا أنَا رَاقِدَةٌ مَهمُومَةٌ إِذَا بِهَاتِف صَيَّتَ بصَوتٍ صَحْلٍ[4]، يَقُولُ:

«مَعشَرَ قُرَيشٍ، إنَّ هَذَا النَّبِيَّ المَبعُوثَ مِنكُم، وهَذَا إبَّانُ نُجُومِه، فحيَّهَل

---

(1) هي رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد المُطَّلب بن هاشم الهاشمية بنت عَمِّ العباس وإخوته من بني عبد المطلب، وهي والدة مخرمة بن نوفل والد المِسور، ذكرها الطبراني والمستغفري في الصحابة، وقال ابن عبد البر: «وما أراها أدركت»، أي: النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت سنها قريبًا من سنِّ عبد المطلب بن هاشم. «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (6/ 3328)، «أسد الغابة» لابن الأثير (6/ 112)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر (7/ 646).

(2) **اللدة:** التِّرب، أي: النَّظير في السِّنِّ.

(3) أقحلت: أيبست.

(4) صيَّتَ: صَوَّت. والصحل: الخَشن، أو المُمتد في بَحح.

بالحَيَا[1] والخِصب، ألا فانظُرُوا مِنكُم رجلًا طِوَالًا عظامًا، أبيض بضًّا، أَوْطَفَ الأَهدَاب، سَهْل الخَدَّين[2]، لَهُ سُنَّة تَدعُو إلَيه[3]، وفَضل يدلُّ عَلَيهِ، ألا فَليدلف إلَيهِ مِن كُلِّ بَطنٍ رَجُلٌ[4]، ألا ثمَّ ليسنوا مِن المَاء، وليَلتَمِسُوا الرُّكن، وليرتَقُوا أبا قُبَيْسٍ[5]، ألا ثمَّ لِيَدْعُ الرَّجلُ، ولْيُؤَمِّن القومُ، ألا فافعَلُوا إِذًا مَا شئتُم.

قَالَت: فأصبحتُ عَلَى ذَلِك مفرَاةً[6] مذعُورةً، قد قبَّ جِلدِي، ووَلهَ عَقلِي[7]، فقَصصتُ رُؤيَاي، فنِمتُ في شِعَابِ مَكَّة، فوالحرمة والحَرم إن بَقِي بِهَا أَبطحِي إلا قَالَ: هَذَا شيبةُ الحَمْد[8]، فتَتامت عندَه قُريشٌ، وانقَضَّ إلَيه من كُلِّ

---

(1) **إبَّان نجومه،** أي: حين ظهوره، حيَّهل بكذا، أي: عليك به. **والحيا:** المَطر.

(2) **البَضُّ:** المُمتلئ الجسم. **والأهداب:** شعر أشفار العُيون. مفرده: هدب. **والأوطف** من الوطف، وهو كثرة شعر الحاجبين والعينين. **وسهل الخَدَّين:** قليل لحمهما.

(3) **السُّنَّة:** الصورة والسِّيرة.

(4) **يُدلف:** يمشي. والبطن من بطون العرب: ما دون القبيلة.

(5) **يسنوا،** أي: يسقوا، والركن: لعله الركن اليماني بالكعبة. **وأبو قبيس:** جبل بجوار مكة.

(6) **مفراة:** متحيرة مدهوشة.

(7) **قَبَّ:** زوى. ويُروى: قَفَّ، أي: انكمش، وتَجَعَّد. وولهَ، أي: ذهب.

(8) **الحرمة:** الذِّمة، وما يجب حفظُه. والحرم: حرم مكة. إن بقي، أي: ما بقي. والأبطحي: هو القرشي من مكَّةَ خاصَّة. **وشيبة الحمد:** هو عبد المطلب جدُّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كَفله وربَّاه بعد موت أبيه.

بَطنٍ رجلٌ، فتسَنوا، والتَمَسُوا الرُّكنَ، وارتَقَى أبَا قبيسٍ[1]، فطَفِقَ القَومُ يدفونَ حَولَه مَا إن يستَوسِقهم مُهلة[2] حتَّى قَرَّ بذُروته، واستَوكفُوا جنَابيه، ومَعَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَليه، وهُوَ يَومَئذٍ غلامٌ حِين أيفَعَ أَو هَمَّ أو كَرُبَ[3].

فقَامَ عَبدُ المُطَّلبِ، فقَالَ: «اللَّهُمَّ سَادَّ الخلَّة[4]، وكَاشِف الكُربَة، أنتَ عَالِمٌ غَيرُ مُعَلَّمٍ، ومَسؤُولٌ غَير مُبخلٍ[5]، وهَذِه عَبْدَاؤُك وإمَاؤُك بعذرَات حَرَمِكَ[6] يَشكُونَ إلَيكَ سَنَتَهُم الَّتي أكلَت الظِّلْفَ والخُفَّ[7]، اللُّهمَّ وأمطِرْنَا غَيْثًا مَرِيعًا مُغْدِقًا[8]».

قَالَت: «فمَا رَامُوا والبَيتَ حتَّى انفَجَرَت السَّمَاء بمَائِهَا، وكَظَّ الوَادِي بثَجِيجِهِ[9]، فسَمِعَتُ شِيخَان قُرَيشٍ وجِلَّتهَا[1]، وهِيَ تَقُولُ: هَنِيئًا لَك أبَا

---

(1) تتامت: أفضت. وانقض، أي: أسرع.

(2) **يدفون:** يتداولون. **يستوسقهم:** ينظمهم. **مهلة:** إمهاله إياهم.

(3) قَرَّ بذروته، أي: بأعلاه. واستوكفوا: استقطروا، أي: طلبوا نزول الغيث والمطر. أيفع: رَاهَقَ العِشرين.

(4) الخلة: الحاجة.

(5) غير بخيل.

(6) عِبدَّاوك، أي: عَبيدك. بعذرات حرمك، أي: بأفنائه.

(7) الظلف للبقرة والشاة وشبههما كالقَدَم للإنسان، والخُفُّ للبعير.

(8) **مريعًا**، أي: مخصبًا. **والمغدق**: الكثير القَطْر.

(9) **راموا:** برحوا. **كَظَّ الوادي**، أي: ضاق بالماء لكثرته. **وثجيجه:** سيله.

البَطحَاءِ! أي: عَاش بِكَ أَهلُ البَطحَاءِ[2]».

وفِي ذَلِك تَقُولُ رَقِيقَةُ:

بشيبةِ الحَمد أَسْقَى اللهُ بَلدَتَنَا ... وقَد فَقَدنَا الحَيَا، واجلَوَذَّ

فجَادَ بالمَاءِ جونيٌّ[4] لَهُ سبلٌ ... فانتَعَشَت بِهِ الأنعَامُ والشَّجَرُ

مَنٌّ مِنَ اللهِ بِالمَيمُونِ طَائِرُهُ ... وخَير مَن بُشِّرَت يَومًا بِهِ مُضَرُ[5]

مُبَارَك الأَمر يُستَسقى الغَمَام ... مَا في الأَنَام لَهُ شَبَهٌ وَلَا خَطَرُ[6]

=

(1) شيخان: جمع شيخ. وجلتها: عظماؤها وسادتها.

(2) هم قريش مكة خاصة.

(3) **الحيا:** المطر الخصب. واجلوذ المطر، أي: تأخر.

(4) **الجون:** السحاب الأسود المُمتلئ مَطرًا.

(5) **الميمون طائره،** أي: السعيد حظه، وهو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعبد المطلب يستسقي به.

ومُضر: قبيلة من العرب.

(6) **ولا خَطَر:** ولا مِثْل له في عُلُوِّه، يقصد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والحديث أخرجه ابنُ عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (57/ 148، 149)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (7/ 112)، وقال: «أخرجه أبو نُعيم، وأبو موسى، وقال أبو موسى: هذا حديثٌ حَسَنٌ عالٍ».

كَلَامُ امرَأةِ أبِي الأسودِ الدُؤَلِيِّ(١)

أَبُو صَالِح زَكَرِيَّا بنُ أَبِي صَالِحٍ البَلَدِيُّ، قَالَ: قَالَ أَبُو مُحَمَّد القُشَيرِيُّ: كَانَ

---

(١) **قال ابن عساكر:** «امرأة أبي الأسود الديلي امرأةٌ فَصيحة، خَاصَمَت أبا الأسود إلى معاوية»، وكنيتها: أم عوف. «تاريخ مدينة دمشق» (70/ 269)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (4/ 119).

وأبو الأسود الدؤلي- ويقال: الدِّيلي- هو العَلَّامةُ الفاضلُ، قاضي البَصرة، واسمه: ظالم بن عمرو على الأشهر، وُلِد في أيَّام النُّبوة، وحَدَّث عن عُمر، وعَلِي، وأُبي بن كَعب، وأبي ذَرٍّ، وعبد الله بن مَسعود، والزُّبير بن العَوَّام، وطائفة.

وحَدَّث عنه ابنه، ويحيى بن يَعمر، وابن بريدة، وعمر مَولى غفرة، وآخرون.

قال أحمد العجلي: ثقة، كان أَوَّل مَن تكلم في النحو.

وقال الواقدي: أَسْلَم في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال غيره: قاتل أبو الأسود يوم الجمل مع علي بن أبي طالب، وقد أَمَرَه عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بوضع شيء في النحو لما سَمِع اللحن.

قال: فأراه أبو الأسود ما وَضع، فقال عليٌّ: ما أَحْسَن هذا النحو الذي نحوتَ. فَمِن ثَمَّ سُمِّي النَّحو نَحْوًا.

ونقل ابنُ داب أنَّ أبا الأسود وَفد على مُعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد مقتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فأدنى مجلسَه، وأَعْظَم جَائزته. «سير أعلام النبلاء» (4/ 81، 82).

أبُو الأَسوَدِ الدُّؤَلِيُّ مِن أكبَرِ النَّاس عِند مُعَاوِيَة بن أبي سُفيَانَ، وأقرَبِهِم مَجلِسًا، وكان لَا ينطقُ إلَّا بعقلٍ، وَلَا يتكلَّم إلَّا بعدَ فهمٍ.

فبَينَا هُوَ ذات يَومٍ جَالِسًا، وعندَهُ وجُوهُ قُرَيشٍ[1]، وأشرَاف العَرَبِ، إذ أقبَلَت امرَأَةُ أبِي الأَسوَدِ الدُّؤلِيِّ حتَّى حَاذَت مُعَاوِيَة، وقَالَت:

«السَّلَام عَلَيكَ- يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ- ورَحمَة اللهِ وبَرَكَاتُهُ: إنَّ اللهَ جَعَلَكَ خَلِيفةً فِي البِلَاد، ورقيبًا عَلَى العبَادِ، يُسْتَسْقى بكَ المَطَرُ، ويُستَثبَتُ بِك الشَّجَرُ، وتُؤلَّفُ بِكَ الأهوَاءُ، ويَأمَنُ بِكَ الخَائِف، ويُردعُ بكَ الجَانِف[2]، فأنتَ الخَلِيفَة المُصطَفَى[3]، والإمَام المُرتَضَى؛ فأسأَل اللهَ لَكَ النِّعمَة فِي غَير تَغييرٍ، والعَافِيَة مِن غير تَعذِيرٍ[4].

لَقَد أَلجَأَنِي إلَيكَ -يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ- أمرٌ ضاقَ عليَّ فِيه المَنهَجُ، وتَفَاقَمَ عليَّ فيهِ المَخرَجُ لِأَمرٍ كَرِهتُ عَارَه لما خَشِيتُ إظهَارَهُ، فليُنصفنِي أَمِيرُ المُؤمِنِينَ من الخَصم، فإنِّي أعوذُ بعِقوتِهِ[5] من العارِ الوَبِيلِ والأمرِ الجَلِيل الَّذي

---

(1) **وجوه:** جمع وجه، كالوجهاء جمع: وجيه.

(2) أي: المائل الجائر.

(3) المُختار.

(4) شكوى.

(5) **العقوة:** ما حول الدار.

يشتدُّ عَلَى الحَرَائِرِ ذوَات البُعُول الأَجَائِرِ[1].

فقَالَ لَهَا مُعَاوِيَة: ومَن بعلُكِ هَذَا الَّذي تَصِفِينَ من أمرِهِ المُنكَر، ومن فِعلِه المُشهرِ؟[2].

قَالَ: فقَالَت: هُوَ أبُو الأَسوَد الدُّؤلِيُّ.

قَالَ: فَالتَفَتَ إلَيهِ، فقَالَ: يَا أبَا الأَسوَد، مَا تَقُولُ هَذِه المَرأَة؟

قَالَ: فقَالَ أبُو الأَسوَد: هِيَ تقُولُ مِن الحقِّ بَعضًا، ولَن يَستَطِيعَ أحدٌ عَلَيهَا نَقضًا، أمَّا ما ذَكَرَت مِن طَلَاقِهَا، فهُو حَقٌّ، وأنَا مُخبِرٌ أمِيرَ المُؤمِنِينَ عَنهُ بالصِّدقِ؛ واللهِ- يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ- مَا طلَّقتُهَا عَن رِيبَةٍ ظَهَرَت، وَلَا لِأَيِّ هَفوَةٍ، ولَكنِّي كَرِهتُ شَمَائِلَهَا[3]، فَقطعَتُ عنِّي حَبَائِلَهَا[4]».

فقَالَ مُعَاوِيَة: وأيُّ شَمَائِلِهَا -يَا أبَا الأسوَد- كَرِهتَ؟

قَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، إنَّكِ مُهيجهَا عليَّ بجَوَابٍ عَتِيدٍ[5]، ولسَانٍ شَدِيدٍ.

فقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: لَا بُدَّ لَكَ مِن مُحَاورتِهَا؛ فَاردُدْ عَلَيهَا قَولَهَا عِندَ

---

(1) البعول: الأزواج. والأجائر: جمع الجائر، أي: الظالم.

(2) أي: المُعلن في شناعة.

(3) طباعها.

(4) جمع حبل، وهو بمعنى التواصل.

(5) حاضر مُهَيَّأ.

مُرَاجَعَتِهَا.

فقَالَ أَبُو الأسوَد: يَا أَمِير المُؤمِنِينَ، إنَّها كثيرَةُ الصَّخبِ، دَائِمَةُ الذَّربِ[1]، مُهِينَةٌ للأهلِ، مُؤذِيَةٌ للبَعلِ، مُسيئَةٌ إلَى الجارِ، مُظهِرَةٌ للعَارِ؛ إن رَأَت خَيرًا كَتَمَته، وإن رَأَت شَرًّا أذَاعَتهُ.

قَالَ: فقَالَت: واللهِ، لَولَا مكَان أَمِير المُؤمِنِينَ، وحُضُور مَن حَضَرَه من المُسلِمِينَ لرَدَدتُ عَلَيك بَوَادِرَ[2] كَلَامِك بنَوَافِذ أَقرَع[3] كُل سِهَامكَ، وإن كَانَ لَا يجملُ بِالمَرأَة الحُرَّةِ أن تَشتمَ بَعلًا، وَلَا أن تُظهِرَ لِأَحَدٍ جَهلًا.

فقَالَ مُعَاوِيَة: عَزمتُ عَلَيكِ[4] لما أَجَبتِهِ.

قَالَ: فقَالَت: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، مَا عَلِمتُهُ إلَّا سَؤولًا جَهُولًا، مُلِحًّا بَخِيلًا، إن قَالَ فشَرُّ قَائِلٍ، وإن سَكَتَ فذُو دَغَائِلَ[5]، لَيثٌ حِينَ يَأمَن، وثعلبٌ حين يخَافُ، شَحيحٌ حين يُضَاف، إن ذُكِرَ الجُودُ انقَمَع[6] لِمَا يَعرِفُ مِن قِصَرِ شَأنِهِ،

---

(1) **الصَّخب:** شِدَّة الصَّوت. **والذرب:** بذاءة اللسان.

(2) **جمع بادرة،** وهي ما يَبدر من الحِدَّة والغضب في قولٍ أو فعل.

(3) بنوافذ، أي: بحججٍ نافذةٍ مَاضية. **وأقرع،** أي: أضرب.

(4) أي: أقسمتُ.

(5) جمع دغل، وهو الأمر المفسد.

(6) انقهر وذلَّ.

ولُؤمِ آبَائِهِ، ضَيفُهُ جَائِعٌ، وجَارُهُ ضَائِعٌ، لَا يَحفَظُ جَارًا، وَلَا يَحمِي ذِمارًا[1]، وَلَا يُدرِكُ ثَأرًا، أكرَمُ النَّاس عَلَيهِ مَن أَهَانَهُ، وأَهوَنُهُم عَلَيهِ مَن أَكرَمَهُ.

قَالَ: فقَالَ مُعَاوِيَة: سُبحَانَ اللهِ، لِمَا تَأتِي بِهِ هَذِه المَرأَة مِن السَّجعِ!

قَالَ: فقَالَ أَبُو الأَسوَدِ: أصلَحَ اللهُ أَمِيرَ المُؤمِنِينَ! إنَّها مُطلَّقَة، ومَن أكثَرُ كَلَامًا مِن مُطلَّقَةٍ؟!

فقَالَ لَهَا مُعَاوِيَة: إِذَا كَانَ رَوَاحًا[2]، فتَعَالِي أَفصلْ بَينَكِ وبَينَهُ بِالقَضَاءِ.

قَالَ: فَلَمَّا كَانَ الرَّوَاح جَاءَت ومَعَهَا ابنُهَا قَدِ احتَضَنَتهُ، فَلَمَّا رآها أَبُو الأسوَدِ، قَامَ إِلَيهَا لِيَنتَزِعَ ابنَهُ مِنهَا، فقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: يَا أبا الأَسوَدِ، لَا تَعجَل المَرأَة أَن تَنطِقَ بحجَّتِهَا.

قَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، أنَا أَحَقُّ بِحَملِ ابنِي مِنهَا.

فقَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: يَا أَبَا الأَسوَد، دَعْهَا تَقُلْ.

فقَالَ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، حَمَلتُهُ قَبل أَن تَحمِلَه، ووَضَعتُهُ قَبلَ أَن تَضَعَهُ.

قَالَ: فقَالَت: صَدَقَ- واللهِ- يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، حَمَلَهُ خفًّا، وحَملتُهُ ثقَلًا، ووَضَعَهُ بِشَهوَةٍ، ووَضَعتُهُ كَرْهًا؛ إنَّ بَطنِي لَوِعَاؤُه، وإنَّ ثَدْيِي لِسِقَاؤُهُ، وإنَّ حجرِي لفِنَاؤُهُ.

---

(1) **الذمار:** ما تَلزم حمايته.

(2) **الرَّواح:** العشي، أو من الزَّوال إلى الليل.

قَالَ: فقَالَ مُعَاوِيَة: سُبحَانَ اللهِ لِمَا تَأتِينَ بِهِ!

فقَالَ أَبُو الأَسوَدِ: إنَّها تقُولُ الأَبيات مِنَ الشِّعرِ، فتُجِيدُهَا.

قَالَ: فقَالَ مُعَاوِيَة: إنَّها قَد غَلَبَتكَ في الكَلَامِ؛ فَتَكَلَّفْ لَهَا أَبيَاتًا لَعَلَّكَ تغلبَهَا.

قَالَ: فأنشأ أَبُو الأَسوَدِ يَقُولُ:

مَرْحبًـــا بـــالَّتي تَجُـــورُ عَلَينَـــا ... ثـــمَّ سَـــهلًا بِالحَامِـــلِ المَحمُـــولِ
أغلَقَـــت بَابَهَـــا عَلَـــيَّ وقَالَـــت: ... إنَّ خَيـــرَ النِّسَـــاء ذَاتُ البُعُـــولِ
شَـــغَلَت نَفسَـــهَا عَلَـــيَّ فَرَاغًـــا ... هَـل سَـمِعتُم بِالفَـارِغِ المَشـغُولِ؟

قَالَ، فَأَجَابَتهُ، وهِيَ تَقُولُ:

لَـيسَ مَـن قَـالَ بِالصَّـوابِ وبالحُمـ ... ـقِ كَمَـن جَـار عَـن مَنَـارِ السَّـبِيلِ
كَـانَ ثَـديي سِـقَاءَهُ حِـينَ يضـحَي ... ثـمَّ حجـرِي فِنَـاؤُهُ بِالأَصِـيلِ [1]
لستُ أَبغِي بوَاحِدِي يَـابن حَـربٍ ... بَـدَلًا مَـا علمتُـه والخَلِيـلِ [2]

قَالَ، فأَجَابَهَا مُعَاوِيَة:

لَـيسَ مـن غَـذاه حِينًـا صَـغِيرًا ... وسَـقَاهُ مِـن ثَدِيـهِ بخـذُولِ [3]

---

(1) **الأصيل:** العشي.

(2) تعني «بواحدي»: ابنها. وبـ«ابن حرب»: معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحَرْبٌ جَدُّه. والخليل: تريد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو خليل الله.

(3) أي: بمخذول.

هِـي أَولَـى بِـهِ وأَقـرَبُ رُحمًـا ... مِـن أَبِيـهِ بِـالوَحي والتَّنزِيـلِ[1]
أمُّـه مَـا حَنـت عَلَيـه وقَامَـت ... هِـيَ أَولَـى بِحَمـلِ هَـذَا الضَّـئِيلِ

قَالَ: فقَضَى لَهَا مُعَاوِيَةُ عَلَيهِ، واحتَمَلَت ابنَهَا وانصَرَفَتْ»[2].

(1) وحما أي قرابة، بالوحي والتنزيل، أي: بحكم القرآن.

(2) أخرجه الضبي في «أخبار النساء الوافدات على معاوية» (ص 24، 25)، وابن عساكر في«تاريخ مدينة دمشق» (25/ 202).

obeikandl.com

كَلَام صَفِيَّة بنتِ هِشَامٍ المنقريَّة[1]

حَدَّثَنِي أَبُو الحَسَن ابنُ الأَعرَابِيِّ الكُوفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو خَالِد يَزِيد بن يَحيَى الخُزَاعِيُّ، عَن مُحَمَّد بن مَسلَمَةَ، عَن أَبيهِ، قَالَ:

«تُوفِّي الأَحنَفُ في دَارِ عَبدِ الله بن أَبِي العُصَيفِير بِالكُوفَة، وكَان مُصعَب بن الزُّبير إذ ذَاكَ أَمِيرًا عَلَى الكُوفَة من قِبَلِ أَخِيهِ عَبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيرِ، قَالَ: فشَيَّعَ[2] مُصعَبُ بنُ الزُّبَير جِنَازَة الأَحنَفِ، فخَرَجَ مُتَسَلِّبًا[3] في قَميصٍ بغَير رِدَاء[4]، وكَانَتِ الأُمَرَاء تفعَل ذَلِك بالسَّيِّد إِذَا مَاتَ.

قَالَ: فَلَمَّا دُفِنَ الأَحنَفُ، أقبَلَت صَفِيَّةُ بنتُ هِشامٍ المنقريَّة عَلَى نَجيبٍ لَهَا مُتخَصِّرَة[5] -وكَانَت بنتَ عَمِّ الأَحنَف- حتَّى وَقَفَت عَلَى قَبرِهِ، فَقَالَت:

---

(1) قال أبو عُبيد البكري «سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي» (2/ 15): «سَمَّاها أبو طاهر ابن طَيفور صَفية بنت هشام المنقرية، وكانت ابنة عَمِّه زاد الحصري: وامرأته، وذَكَرَ لها شِعرًا».

(2) **شَيَّع الجنازة:** خرج فيها.

(3) **متسلبًا:** لابسًا السِّلاب، وهي الثياب السُّود.

(4) **الرداء:** الثوب فوق سائر اللباس.

(5) **النَّجيب:** وصفٌ مِن أوصافِ النَّاقة الجيِّدة. مُتَخَصِّرة، أي: بيدها مخصرة، وهي ما يُمسكه =

«للهِ دَرُّكَ مِن مجن في جننٍ، ومُدرَجٍ في كَفَنٍ[1]! إنَّا للهِ وإنَّا إلَيهِ رَاجعُونَ! جَعَلَ اللهُ سَبيلَ الخَير سَبيلَك، ودَلِيل الرُّشد دَليلكَ، أمَا والَّذي أَسأَلُهُ أَن يُفسِحَ لَكَ في مُدْخَلِكَ، وأن يُبَارِك لكَ في مَحشرِكَ، والَّذي كُنت من أَجلِه في عدةٍ، ومِن الكآبَة في مُدَّةٍ، ومِن الأَثَرَة[2] إلَى نِهَايَة، ومِنَ الضِّمَارِ[3] إلَى غَايَة، لَقَد كُنتَ صَحِيح الأَدِيم[4]، مَنيعَ الحرمِ، عَظِيم السِّلْمِ، فَاضِل الحِلْمِ، وارِي الزِّنَادِ[5]، رَفِيع العِمَاد، وإن كُنتَ لَمُسَوَّدًا، وإلى المُلُوكِ لمُوفدًا، وفي المَحَافِلِ شَرِيفًا، وعَلَى الأَرَامِلِ عَطُوفًا، وكَانَتِ المُلُوكُ لِقَولِكَ مُستَمِعِين، ولرَأيِك مُتَّبِعِين، وَلَقَد عِشتَ حَمِيدًا ودودًا، ومتَّ شَهِيدًا فَقِيدًا.

ثمَّ أقبَلَت عَلَى النَّاسِ بوَجهِهَا، فقَالَت: عِبَاد اللهِ، إنَّ أولِيَاءَ اللهِ في بِلَادِهِ شهُودٌ عَلَى عبَادِهِ، وإنَّا لقَائِلُونَ حَقًّا، ومُثْنونَ صِدقًا، وهُوَ أَهلٌ لطيبِ الثَّنَاءِ، فعَلَيه رَحمَةُ اللهِ وبَرَكَاتُهُ، ومَا مِثْلُهُ في النَّاسِ إلَّا كَمَا قَالَ الشَّاعر في قَيسِ بنِ عاصِمٍ:

عَلَيكَ سَلَامُ اللهِ يَا قَيسَ بنَ عَاصِمٍ ... ورَحمَتُــهُ مَــا شَــاءَ أن يَتَرحمَــا

=

الخطيبُ إذا خطب.

(1) **مجن**، أي: مستور. **والجنن**: القبر. **ومدرج**: مُطوى.

(2) **الأثرة هنا**: الحال الغير مرضية.

(3) لعله من الضمر، وهو الهزال.

(4) الجِلد.

(5) واري، أي: مُتَّقِد.

فمَا كَانَ قَيس هَلكه هَلك وَاحِد وَلَكِنَّه بُنيَانُ قومٍ تَهَدَّمَا

سَلَامُ امرِئٍ أودَعته مِنكَ نِعمَة إِذَا زَارَ عَن شَحْطٍ بِلَادِكَ سَالِما[1]

قَالَ: فتعجَّبَ النَّاسُ مِن كَلَامِهَا، وقَالَ فُصَحَاؤُهُم: تَاللهِ مَا رَأَينَا كَاليَوم قَط- وَلَا سَمِعنَا- أَفصَح وَلَا أبلَغ مِن هَذِه!

قَالَ: فبَعَثَ إِلَيهَا مُصعبُ بن الزُّبَير، فخَطَبَهَا إِلَى نَفسِهِ، فَأَبَتْ عَلَيه، فمَا زَالَ يَتَعَاهَدُهَا[2] بِبِرِّهِ حتَّى قُتِلَ»[3].

وحدثنا السِّجِستَانِيُّ، عَن الأَصمَعِيِّ، عَن أَبَانِ بن تَغلب، قَالَ: «أتَيتُ المَقَابِرَ، فَإِذَا أنَا بِصَبِيَّةٍ قَد كادَت تخفي بَينَ قَبرَين لطَافَة، وَإِذَا هِيَ تَنظُر بعَين جُؤذَر[4]، فبَينَا هِيَ كذَلِك، إذ بَدَت لَهَا كَفَّان، كَأَنَّهمَا لسَان طَائرٍ بِأَطرَافٍ كأَنَّها المَدَارِيُّ[5]، وخِضَابٍ كَأَنَّه عنم[6]، ثمَّ هَبَّتِ الرِّيحُ، فرَفَعَت عَن بُرقعِهَا، فَإِذَا بَيضَة نَعَامٍ تَحتَ أُمِّ رِئَالٍ[7]، ثمَّ قَالَت:

«اللَّهُمَّ إنَّك لَم تَزَلْ قَبلَ كُلِّ شَيءٍ، وأَنتَ بَعدَ كُلِّ شَيءٍ، وقَد خَلَقتَ والِدَيَّ

---

(1) زار من الزورة، بمعنى: البعد، أي: بعد. والشحط: البعد.

(2) أي: يتفقدها ويرعاها بدون طلب منها.

(3) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (24/ 354).

(4) **الجؤذر:** ولد البقرة الوحشية، وهو حَسن العينين.

(5) جمع مدرى، وهو المُشط.

(6) العنم: شجر له ثَمر أحمر يُشَبَّه به البَنان المَخضوب.

(7) جمع رأل، وهو ولد النَّعام، والعرب تُشبه بياض الوجه وصونه ببيض النَّعام المَصون.

قَبلِي، وخَلَقتَنِي بَعدَهُمَا، فَآنَستَنِي بقُربِهِمَا مَا شِئتَ، ثمَّ أَوحَشتَنِي مِنهُمَا إذ شِئتَ، اللَّهُمَّ فَكُن لِي مِنهُما مُؤنِسًا، وكُن لِي بَعدَهُمَا حَافِظًا».

قَالَ: «فقُلتُ: يَا صَبِيَّة، أَعِيدِي لَفظَكِ، فلَم تَسمَعْ، ومرت في كَلَامهَا، ثمَّ أعدتُ عَلَيها، فنَظَرَت، ثمَّ قَالَت: «يَا شَيخ، واللهِ مَا أنَا لكَ بمحرمٍ[1]، فتُحَادِثنِي مُحَادَثَة أَهلِكَ، أَهلُكَ أَولَى بِكَ».

قَالَ: «فَاستَخفَيتُ بينَ القُبُور مُستَحيًا مِمَّا قَالَت لِي، ثمَّ سَأَلتُ عَنهَا، فإذَا هِيَ أَيِّمٌ[2]، فَأَتيتُ صَدِيقًا لِي، فقُلتُ لَهُ: هل لكَ في أن يلمَّ اللهُ شَعثَكَ[3]، ويقرَّ عَينكَ؟ قَالَ: «ومَا ذَاكَ؟».

قَالَ: «فوَصَفتُ لَهُ الجَارِية، ومَا رَأَيتُ مِن عقلِهَا، وسَمِعتُ من كَلَامهَا، فقلتُ لَهُ: أبغِض من مَالكَ عَشرَة آلَاف دِرهَمٍ، فإنِّي أرجُو أن تكُون أَحمَد[4] مَا لَك عَاقِبَة».

قَالَ: «فقَالَ: «قَد فَعَلتُ»، فخَرَجنَا جَمِيعًا؛ أنَا وهُوَ، حتَّى أتَينَا الخبَاء[5]، فإذَا نَحنُ بعَمِّهَا، فعَرَضنَا عَلَيهِ ذَلِك، فقَالَ: «يَا هَؤُلاءِ! واللهِ، مَا لنَا في أمورِنَا،

---

(1) **المحرم**: ما يجب عليك حمايته، ويَحل لك النظر إليه.

(2) أي: لا زوج لها.

(3) مُتفرقك.

(4) أفعل تفضيل من الحمد، بمعنى: الرضا.

(5) البيت من وَبَر، أو صوف، أو شَعر.

وَلَا أنفسنَا شَيء مَعَهَا، فكَيفَ فِيهَا، ولَكِن اعرضُوا عَلَيهَا مَا وَصَفتُم»، ثمَّ دَخَلَ الخبَاء، فقَالَ: «هَا هِيَ ذِهِ قَد خَرَجَت تَسمَع مَا تقُولُونَ».

قَالَ: «فجَلَسَت خَلفَ سجفٍ[1] لَهَا، ثمَّ قَالَت: «اللَّهُمَّ حَي العِصَابَة بالسَّلَام، وأَجزِلْ لهُم الثَّواب في دَارِ المَقَامِ، قُل يَا عَمِّ»، فأقبَلَ عَلَيهَا عَمُّهَا، فقَالَ: «أَي مُفْدَاةٍ[2]، هَذَا عَمُّكِ، ونَظِير أَبِيكِ، وقَد خَطَبَكِ علي ابنِ عَمِّكِ نَظِيرُكِ، وقَد بذلَ لَكِ من الصَّدَاق عَشرَة آلَاف دِرهَمٍ».

قَالَ: «فَأَقبَلَت عَلَيه، فَقَالَت: «يَا عَمِّ، أضَرَّت بِكَ الحَاجَة حتَّى طمعتَ طمعًا أخَلَّ بمُروءَتِكَ، أتزوِّجُنِي غُلَامًا حَضَرِيًّا يَغلبنِي بفِطنَتِهِ، ويَصُول عَلَيَّ بمَقدِرَتِهِ، ويمنُن عَلَيَّ بتَفضُّلِهِ، ويقُولُ: يَا هَنَة بِنت الهَنَة[3]؟! كلَّا إنَّ اللهَ وَاسِعٌ كريم».

قَالَ: «فَرَجَعنَا- واللهِ- مَدحُوضِي[4] الحجَّة مَردُودِينَ عَن الحَاجَة».

وقَالَ الأَصمَعِيُّ: عَن أبَان بن تَغلَب، قَالَ: سَمعتُ امرَأَةً تُوصِي ابنًا لَهَا، وأَرَادَ سَفَرًا، فقَالَت: «أي بُنيَّ، أُوصِيكَ بتَقوَى اللهِ، فَإنَّ قَلِيلَهُ أجدَى[5] عَليكَ

---

(1) سِتر.

(2) أي: حرف لنداء القريب، أي: يا مَن جعلنا فِدَاك.

(3) هنة مؤنث هن، بمعنى: شيء، تريد الجارية أنه يُناديها بألفاظ التَّنكير تَحقيرًا لها.

(4) مِن أدحض الحُجَّة: أبطلها.

(5) أفعل تفضيل من الجدة، أي: العطية.

مِن كَثِيرِ عَقلِكَ، وإيَّاك والنَّمَائِم، فإنَّهَا تُورِثُ الضَّغَائِن، وتفرِّق بَينَ المُحِبِّينَ، ومثل لِنَفسكَ مِثَال مَا تَستَحسِن لِغَيرِك، ثمَّ اتَّخِذْهُ إمَامًا، ومَا تَستَقبِح مِن غَيرِك، فَاجتَنِبْهُ، وإيَّاكَ التَّعَرُّض للعُيُوب، فتَصِير نفسَك غَرَضًا[1]، وخَلِيق ألَّا يلبث الغَرَض عَلَى كَثرَة السِّهَام، وإيَّاك والبُخل بمَالِك، والجُود بدِينِكَ».

فقَالَت أعرَابِيَّة مَعَهَا: «أَسأَلُكِ إلَّا زِدتِهِ يَا فُلَانَة، في وَصِيَّتِكِ».

قَالَت: «إي واللهِ، والعُذرُ أقبَح مَا يُعامل بِهِ الإخوَان، وكَفَى بالوَفَاء جَامِعًا لِمَا تَشَتَّت من الإخَاءِ، ومِن جَمع الحلمِ والسَّخَاء، فقَد استَجَاد الحُلَّة[2]، والفُجُور أَقبَح حُلَّة، وأبقَى عارًا»[3].

وقَالَ الأَصمَعِيُّ: عَن أبَان بنِ تَغلب، قَالَ: «أَضلَلتُ إبلًا لِي، فخَرَجت في بغَائِهَا[4]، فإذَا أنَا بِجَارِيَة أعشى- أَشرَقَ- وَجْهُها بَصري، فقَالَت: «مَا لَكَ يَا عَبد الله، ومَا بُغيَتُكَ؟»، قُلتُ: أَضللتُ إبلًا لِي، فَأَنَا في طَلَبِهَا، فقَالَت: «أدلُّكَ عَلَى مَن علمهَا عِندَه»، قُلتُ: إذَا تَستَوجِبِي الأَجر، وتَكتَسِبِي الحَمد والشُّكر، فقَالَت: «سَلِ الَّذي أَعطَاكَهُنَّ- فهُو الَّذي أَخَذَهُنَّ مِنك- مِن طَرِيقِ اليَقِين لَا مِن طَرِيق الاختِبَار، فَإنَّه إن شَاءَ فعلَ».

---

(1) أي: هدفًا يرمى فيه.

(2) الحُلَّة: ثوبان، أو ثوب له بطانة، وهي كناية عن لبس الفضيلة.

(3) أخرجه البيهقي في «شُعب الإيمان» (10931).

(4) طَلَبِها.

قَالَ: «فأَعجَبَنِي مَا رَأَيتُ مِن عقلِهَا، وسَمِعتُ من فَصَاحَتها، فقُلتُ لَهَا: أَلَكِ بَعلٌ؟ فقَالَت: «كَان، ونِعمَ البَعل كَانَ! فَدُعي إِلَى ما لَه خَلَقٌ[1]، فَأَجَابَ»، فقُلتُ لَهَا: «فهَل لَكَ في بَعلٍ لَا تُذمُّ خلائقه، وَلَا تُخاف بَوَائِقه»[2].

قَالَ: «فأطرَقَت طَوِيلًا، ثمَّ قَالَت:

كُنَّا كَغُصنَينِ في ساقٍ غذَاؤهمَا ... مَاءُ الجَدَاوِل في رَوضَات جَنَّاتِ

فَاجتُث خيرُهمَا عن أَصلِ صاحبِهِ ... دَهر يكِرُّ بفرَحَاتٍ وتَرَحَاتِ[3]

وكَانَ عَاهدنِي إن خَانَنِي زَمَنٌ ... أَلَّا يضاجعَ أُنثَى بعدَ مَثْوَاتِي[4]

وكُنتُ عَاهدتُهُ أَيضًا فعَاجَلَه ... رَيبُ المَنُونِ قرِيبًا مُذ سنيَّاتِ

فَاصرِفْ عِتَابَكَ عَمَّن لَيسَ يَردعِهَا ... عَن الوَفَاءِ خلاب بِالتَّحِيَّاتِ[5]

(1) تعني: دعي إلى الموت، فهو مصير كل حيٍّ.

(2) جمع بائقة، من بَاقَ جاء بالشَّرِّ والخُصومة.

(3) اجتث: قطع، أو انتزع، يكر: يعطف.

(4) مَثواتي، أي: إقامتها في القبر.

(5) عتابك، أي: مَوجدتك، مِن وَجد به: أَحَبَّه. خلاب، مِن خَلب عقل: سَلَبَه.

obeikandl.com

كَلَامُ جُمُعَة وهِند بِنتا الخس[1]

قَالَ مُحَمَّد بن زِيَادٍ الأَعرَابِيُّ أبُو عَبدِ اللهِ: وَافَت جُمُعَة وهِند بِنتَا الخس عُكَاظ[2] في الجَاهِلِيَّة، فاجتَمَعَتَا عِندَ القَلَمَّسِ الكِنَانِيِّ، فقَالَ لَهُمَا: «إنِّي سَائِلكمَا لِأَعلَمَ أيُّكُمَا أَبسَط، وأَظهَر بَيَانًا، وأَحسَن للصِّفَة إتقَانًا؟».

قَالَتَا: سَلنَا عَمَّا بَدَا لَكَ، فستَجِد عِندَنَا عُقُولًا ذَكِيَّةً، وأَلسِنَةً قَوِيَّةً، وصِفَةً جَلِيَّةً.

قَالَ القَلَمَّسُ: أيُّ الإبلِ أَحَبُّ إِلَيكِ يَا جُمُعَة؟

قَالَت: أُحِبُّ كُلَّ قَرَاسيَّة دوسَر، مَلاحك الخلقِ عَشَنزَر مَلَملَم، مِثل

---

(1) هما ابنتا الخس الإيادي، وقيل: هما اسمان لامرأة واحدة عاشت في الجاهلية، وأبوها من العماليق والإيادية، جاءت عنها الأمثال، وكانت معروفة بالفصاحة، ومنه المثل السائر: أين بنت الخس من فصاحة قُس. قال عنها الجاحظ: «ومن أهل الدهاء والنُّكراء، ومن أهل اللسن واللقن، والجواب العجيب، والكلام الفصيح، والأمثال السائرة، والمخارج العجيبة: هند بنت الخس، وهي الزرقاء ». انظر «تاج العروس» (16/ 13)، «البيان والتبيين» (1/ 255).

(2) **عكاظ:** سوق من أسواق العرب كانوا يجتمعون فيه للتفاخر، وإنشاد الشِّعر، إلخ.

مَلمُومَة المَرمَر، ذِي شَقشَقَةٍ مُفَرفَر، مُصعَب ألوَن، مُدلَّى المُشفَر[1].

قَالَ القَلَمَّسُ: كَيفَ تَسمَعِينَ يَا هِند؟

قَالَت: نِعْمَ الجَمَل هَذَا فِي الشُّقَّة البَعِيدَة، والمَسَافَة الشَّدِيدَة، وفِي السَّبَاسِبِ الجَدِيبَة[2]، وغيره أَحَبُّ إِليَّ.

قَالَ: فقُولِي!

فقَالَت: أُحِبُّ كُلَّ ذِي كَاهِلٍ رَفِيعٍ، ملزز الخلق جميع، محتملٌ ضلِيعٌ، يقلُّ الرُّغَاء، ويَعتَسف البَيدَاءَ، ويَنهَضُ بِالأعبَاءِ[3].

قَالَ القَلَمَّسُ: كِلتَاكُمَا مُحسِنَةٌ، فَأَيُّ ذُكُورِ الإِبِلِ أَبغَضُ إِلَيكِ يَا جُمُعَة؟

قَالَت: أُبْغِضُ القَصِيرَ القَامَة، الصَّغِير الهَامَة، السَّرِيع السَّآمَة، الأَجبُّ الظَّهر كَالنَّعَامَة.

قَالَ القلمسُ: كَيفَ تَسمَعِينَ يَا هِند؟

---

(1) **القراسية والدوسر**، أي: الضَّخم الشديد من الإبل خاصَّة. **والملاحك:** الجمل الشديد الخُلق. **والعشنزر**: الشَّديد العظيم من كل شيء. **والمفرفر:** من فرفر البَعير إذا نَفض جَسده، وأسرع وخَفَّ. **وألون،** أي: أسود. **والمشفر** للبعير كالشَّفة للإنسان.

(2) **السباسب:** جمع سبسب، وهي المفازة، أو الصحراء.

(3) **جميع،** أي: مجتمع الخلق. **وضليع مِن الضَّلاعة،** وهي القوة. **والرُّغاء:** صوتُ البَعير. **ويَعتسف مِن اعتسف عن الطَّريق:** مَالَ وعَدل. **والأعباء:** الأثقال.

قَالَت: وَصَفَتْ جَمَلًا غَيرَ فَحلٍ، وَلَا نَجيبٍ، وَلَا شَهْمٍ، وَلَا صليبٍ، وَلَا رايع، وَلَا عجيبٍ[1]، وغَيرُهُ أبْغَضُ إليَّ مِنهُ.

قَالَ: فقُولِي!

قَالَت: أُبْغِض الضَّعِيفَ المُضطَرِبَ الَّذي كُلُّ حِمل عَلَيهِ تَعب.

قَالَ القلمسُ: كِلتَاكُمَا مُحسِنَةٌ، فَأَيُّ النُّوقِ أَحَبُّ إِلَيكِ يَا جُمُعَة؟

قَالَت: أُحِبُّ كُلَّ نَاقَةٍ عَلكُوم، علندَاة كتُوم، مثل الجَمَل الحجُوم، العَظِيم العَيهُوم، يَخلطُ بينَ الشَّدِّ والرَّسيم، في تِيهِ المَهَامِهِ والدَّيمُوم[2].

قَالَ القلمسُ: كَيفَ تَسمَعِينَ يَا هِند؟

قَالَت: هَذِه صِفَةُ نَاقَةٍ صَاحِبُهَا خَلِيقٌ ألَّا يهمَّه سَفَر، وَلَا يسبِقه خبَرٌ، وَلَا يُهولُهُ خَطَرٌ، وَلَا يَفُوتُهُ ظَفَر، وغَيرُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنهَا.

قَالَ: فقُولِي!

قَالَت: أُحِبُّهَا ضَخمَةً مِثلَ الجَوسَق، شِدْقُهَا مِثْلُ شِدْقِ النَّقنَق، مدمجٌ، خلقهَا موثق، كَثِيرَة الهبَابِ، نَاجِيَة الذَّهَاب، وَشِيكَة الإِيَابِ[3].

---

(1) **غير فحل**: غير مختار. **والشهم هنا**: النَّشيط والقوي. **والصَّليب**: المَتين. **والرَّايع**: المُعجب.

(2) **العلكوم**: الشَّديدة الصُّلبة. **العلنداة**: الضَّخم الطَّويلة. **والعيهوم**: السريعة. **والرَّسيم**: نوعٌ من سَير الإبل أقل من العَدْو. **والمَهامة**: المفازة البعيدة. **والديموم**: الفَلَاة الوَاسِعة.

(3) **الجوسق**: القَصْر. والمراد: عالية ضخمة. **والنقنق**: ذَكَر النَّعام. **والهباب**: الهُبوب، وهو نَشاط =

قَالَ القلمسُ: كِلتَاكُمَا مُحسِنَةٌ، فَأَيُّ ذُكُورِ الخَيلِ أَحَبُّ إِلَيكِ يَا جُمُعَة؟

قَالَت: أُحِبُّ المَنسُوب جدُّهُ، الأَسِيل خَدُّهُ، السَّريع شدُّه، الطَّويل مَدُّهُ، الشَّدِيد هَدُّهُ، الجَمِيل قَدُّهُ[1].

قَالَ القلمسُ: كَيفَ تَسمَعِينَ يَا هِند؟.

قَالَت: هَذَا فَرَسٌ خَلِيقٌ إن طُلِبَ لَم يُلحَقْ، وإن جُورِيَ لَم يُسْبَقْ، وإن بُوهِي لَم يُفَقْ[2]، وَغَيرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنهُ.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَت: أُحِبُّ الوَثِيقَ الخلقِ، الكَرِيم العِرْقِ، الكَثِير السَّبق، الشَّدِيد الذَّلق، يَمُرُّ مِنَ البَرقِ[3].

قَالَ: كِلتَاكُمَا مُحسِنَةٌ، فَأَيُّ إِنَاثِ الخَيلِ أَحَبُّ إِلَيكِ يَا جُمُعَة؟

قَالَت: أُحِبُّ كُلَّ حَيِيَّةِ الفُؤَاد، سبوح جواد، سَلِسَة القِيَادِ، شَدِيدَة الاعتِمَادِ فِي الدَّفعِ والاشتِدَادِ، ذَات هبَابٍ وثمَاد[4].

=

كلّ سائر في سَيره. **ناجية:** سريعة. وَشِيكة الإياب، أي: قَريبته.

(1) **الأسيل:** الطَّويل. **شَدُّه،** أي: عَدْوه. **وهَدُّه:** صوتُه.

(2) **جوري،** مِن جَارَاه وسابقه. **بوهي،** مِن باهاه: فَاخَرَه.

(3) **الوثيق:** المُحكم. **والعِرق هنا:** الأصل. **والذَّلق:** الانطلاق.

(4) جواد، أي: بَيِّنة الجَودة. وحيية: نَبِيهة. وسبوح، أي: سريعة في لين كأنها تَسْبَحُ. **والهباب،** أي:

=

obeikandl.com

قَالَ القلمسُ: كَيفَ تَسمَعِينَ يَا هِندُ؟

قَالَت: هَذِه فرسٌ صَاحِبُهَا خَلِيقٌ أَلَّا يفُوتُهُ أَمرٌ، وَلَا يَهولُهُ ذُعر، إِذَا شَاءَ كَرَّ، وَإِذَا هَابَ فَرَّ، وغَيرُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنهَا.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَت: أُحِبُّ الشَّدِيد أسرهَا، البَعِيد صَبرهَا، القَلِيل فَترُهَا، الجَمِيلُ قَدرُهَا، السَّرِيعُ مَرُّهَا، المُخوِّف كرُّهَا[1].

قَالَ القلمسُ: كِلتَاكُمَا مُحسِنَةٌ، فَأَيُّ ذُكُور الخَيلِ أَبغَضُ إِلَيكِ يَا جُمُعَة؟

قَالَت: أُبْغِضُ كُلَّ بليدٍ، وارِم الوَرِيدِ، ذا وكَالٍ شَديدٍ[2]، لَا يُنجيكَ هَارِبًا، وَلَا تَظفَر بِهِ طالبًا، وَلَا يسرُّك شَاهِدًا وَلَا غائبًا.

قَالَ القلمسُ: كَيفَ تَسمَعِينَ يَا هِندُ؟

قَالَت: هَذَا فَرسٌ إِمسَاكُهُ بَلَاءٌ، وعِلَاجُهُ عَنَاءٌ، ورُكُوبُهُ شَقَاءٌ، وغَيرُهُ أبغَضُ إِلَيَّ مِنهُ.

قَالَ: فَقُولِي!

=

الهُبوب. **والثِّماد** مِن ثَمَد، وهي السَّمينة.

(1) **الأسر**: المَفاصل. **والفتر**: الفتور.

(2) **الوريد**: عِرق في العُنُق. والوكال: سُوء السَّير، أو فُتوره.

قَالَت: أُبْغِضُ السَّرِيعَ البَهْر، البَطِيء الحَصر، السَّكيت الطَّفر[1].

قَالَ القلمسُ: كِلتَاكُمَا مُحسِنَةٌ، فَأَيُّ المعزَى أَحَبُّ إِلَيكِ يَا جُمُعَة؟

قَالَت: أُحِبُّ ذاتَ الزَّنمتين[2]، المَنفُوخَة الجَنبين، المُذَكَّرَةَ القَرنَين، الدَّقِيقَة الطَّبْيَيْن[3]، تَروِي الوَلَدَين، وتُشبِع أَهلَ البَيتَين.

قَالَ القلمسُ: كَيفَ تَسمَعِينَ يَا هِندُ؟

قَالَت: هَذِه عنزُ رجلٍ خَلِيق أن تَمتَلِئَ أوطَابُهُ[4]، ويدُومَ شرَابُهُ، ويخصبَ أصحَابُهُ، وغَيرُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنهَا.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَت: أُحِبُّ ذاتَ الضَّرع العَرِيض، ثَقِيلٌ في الربيضِ، مُترَع يَفِيض، ليسَ بمَنزُوفٍ وَلَا مُغِيض[5].

قَالَ: كِلتَاكُمَا مُحسِنَةٌ، فَأَيُّ السَّحَابِ أحسَنُ في عَينِكِ يَا جُمُعَة؟

---

(1) **البهر:** انقطاع النَّفَس من التَّعب. **والحصر:** ارتفاع الفَرس في عَدْوِه. السَّكِّيت: صيغة مبالغة من السكوت. **والطفر**: الوثوب في ارتفاع.

(2) **الزنمتان:** مثنى زنمة، وهي ما يلي شحمة الأذن من العنز.

(3) **الطبيان:** مُثنى طبية، والمراد بها: الحلمة.

(4) **الأوطاب،** جمع وطب، وهو سِقاء اللبن.

(5) **الربيض**: مَربض الغنم، أي: مجتمعها. **ومترع:** ممتلئ. **والمنزوف:** المنزوح. **والمغيض،** مِن غاض الماء: إذا جَفَّ.

قَالَت: أُحِبُّ كُلَّ ركامٍ مُلتَفٍّ، أسحَم رجَاف مسفٍّ، يَكَادُ يَمَسُّهُ مَن قَامَ بِالكَفِّ[1].

قَالَ: كَيفَ تَسمَعِينَ يَا هِندُ؟

قَالَت: وَصَفَتْ سحَابًا مُستَرخِي العزَالِي، كَثِير التَّهَاطُلِ، غزِير السِّجَالِ[2]، وَغَيرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنهُ.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَت: أُحِبُّ كُلَّ صَبِيرٍ دَلَّاحٍ، مُثعَنجَرٍ نضَّاحٍ، مُتَجَاوِب النَّوَاحِي، كَأَنَّ بَرقَه ضَوءُ مُصبَاحٍ[3].

قَالَ القلمسُ: كِلتَاكُمَا مُحسِنَةٌ، فَأَيُّ النِّسَاء أَحَبُّ إِلَيكِ يَا جُمُعَة؟

قَالَت: أُحِبُّ الغرِّيرَةَ العَذرَاء، الرُّعبُوبَة العَيطَاء، المَكُورَة اللَّفَّاء، ذَات الجَمَالِ والبَهَاء، والسِّتر والحَيَاء، البَضَّة الرَّخصة، كَأَنَّهَا فضَّة بَيضَاء[4].

---

(1) **الرُّكام المُلتف:** السَّحاب المُتراكم. **والأسحم**: الأسود من كثرة مائه. **الرجاف:** المُضطرب بالماء. **ومسف**، مِن أَسَّفت السحابة: إذا دَنَت مِن الأرض.

(2) **العزالي:** جَمع عَزلاء: مَصب الماء. **والسجال:** الانصباب.

(3) **الصبير:** السَّحابة الكثيفة. **والدلاح:** الكثيرة الماء. **والمثعنجر**: التي يسيل منها الماء.

(4) **الغريرة:** الطاهرة الخُلُق. **والرُّعبوبة:** البيضاء الحَسَنة النَّاعمة. **والعيطاء:** الطويلة العُنُق. **والمَكورة**: المُستديرة السَّاقين. **واللَّفَّاء:** الضَّخمة الفَخذين. **والبضَّة:** الرَّقيقة الجِلد. **والرَّخصة**: الناعمة.

obeikandl.com

قَالَ: كَيفَ تَسمَعِينَ يَا هِندُ؟، قَالَت: وَصَفَتْ جَارِيَةً هِيَ حَاجَة الفَتَى، ونهية الرِّضَاء، وغَيرُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنهَا.

قَالَ: فقُولِي!

قَالَت: أُحِبُّ كُلَّ مُشبِعَة الخلخَالِ، ذات شَكلٍ ودلَالٍ، وظُرفٍ وبَهَاءٍ وجَمَالٍ.

قَالَ القلمسُ: كِلتَاكُمَا مُحسِنَةٌ، فَأَيُّ النِّسَاء أَبغَضُ إِلَيكِ يَا جُمُعَة؟.

قَالَت: أُبْغِضُ كُلَّ سلفع بَذيَّة، جَاهِلَةً غَبِيَّة حَرِيصَةً دَنِيَّة، غَير كَرِيمَةٍ وَلَا سَرِيَّة، وَلَا سِتِّيرَةٍ وَلَا حَيِيَّةٍ[1].

قَالَ: كَيفَ تَسمَعِينَ يَا هِندُ؟

قَالَت: وَصَفَتْ امرَأَةً صَاحِبُهَا خَلِيقٌ أَلَّا تَصلُحَ لَهُ حَالٌ، وَلَا يَنعَمُ لَهُ بَالٌ، وَلَا يُثمِرُ لَهُ مَالٌ، وَغَيرُهَا أَبغَضُ إِلَيَّ مِنهَا.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَت: أُبْغِضُ المُتَعَجرِفَة الشَّوهَاء، المَنفُوحَة الكبدَاء، العَنفَصَ الوَقصَاء، الحَمشَة الزَّلَّاء، الَّتِي إِن وَلَدَت لَم تُنجِبْ، وإِن زُجِرَت لَم تُعتَتَبْ، وإِن تُرِكَت طَفِقَت تَصخبْ[2].

---

(1) **السَّلفع:** السيئة الخُلُق. والسرية: ذات المُروءة في شَرَف.

(2) **المتجرفة:** الهزيلة المُضطربة. **والمنفوحة،** من نفح العِرق: نَزَى منه الدَّمُ. **والكبداء:** المَرِيضة. **والعنفص:** القليلة الحياء. **والوقصاء:** القصيرة العُنُق. **والحشماء:** الدقيقة السَّاقين.

=

قَالَ القلمسُ: كِلتَاكُمَا مُحسِنَةٌ، فَأَيُّ الرجال أَحَبُّ إِلَيكِ يَا جُمُعَة؟

قَالَت: «أُحِبُّ الحُرَّ النَّجِيبَ، السَّهلَ القَرِيبَ، السَّمحَ الحَسِيبَ، الفَطِنَ الأَرِيبَ، المصقعَ[1] الخَطِيبَ، الشُّجَاعَ المَهِيبَ.

قَالَ القلمسُ: كَيفَ تَسمَعِينَ يَا هِند؟

قَالَت: وَصَفَتْ رَجُلًا سَيِّدًا جوادًا، يَنهَضُ إِلَى الخَيرِ صَاعِدًا، وَيَسُرُّكَ غَائِبًا وَشَاهِدًا، وَغَيرُهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنهُ.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَت: أُحِبُّ الرَّحبَ الذِّرَاع، الطَّوِيلَ البَاع، السَّخِيَّ النَّفَّاعَ، المَنِيع الدِّفَاع، والدَّهمِيَّ المُطَاع، البَطَل الشُّجَاع، الَّذي يحلُّ باليفَاع، ويُهين في الحَمد المَتَاع[2].

قَالَ: كِلتَاكُمَا مُحسِنَةٌ، فَأَيُّ الرِّجَالِ أَبْغَضُ إِلَيكِ يَا جُمُعَة؟

قَالَت: أُبْغِضُ السَّآلَة اللَّئيم، البَغِيض الزَّنِيم، الأشوَه الدَّمِيم، الظَّاهِر

=

والزلاء: الخفيفة الوَركين. تعتتب، مِن اعتتب: رَجع عن أمرٍ كانت فيه. **والصخب**: شِدَّة الصوت.

(1) **المصقع**: الجهوري الصَّوت في فَصاحة وثَبَات.

(2) **النَّفَّاع**: صيغة مبالغة في كثرة النَّفع. **والدهمي**: الكريم. **واليفاع**: العلو. **ويُهين في الحمد المَتَاع**، أي: يُهين ماله ببذله إيَّاه في اكتساب الحمد.

obeikandl.com

العَصُوم، الضَّعِيف الحَيزُوم[1].

قَالَ: كَيفَ تَسمَعِينَ يَا هِندُ؟

قَالَت: ذَكَرَت رَجُلًا خَطَرُهُ صَغِيرٌ، وخَطْبُهُ يَسِيرٌ، وعَيبُهُ كَثِيرٌ، وأَنتَ ببُغضِهِ جَدِيرٌ، وغَيرُهُ أبغَضُ إليَّ مِنهُ.

قَالَ: فَقُولِي!

قَالَت: أُبْغِضُ الضَّعِيفَ النُّخَاعِ[2]، القَصِير البَاع، الأحمَق المِضيَاع، الَّذي لَا يُكرَم وَلَا يُطَاع.

قَالَ القلمسُ: كِلتَاكُمَا مُحسِنَةٌ، فهَل تَقُولَانِ مِنَ الشِّعرِ شَيئًا؟

قَالَتا: نَعَم.

قَالَ: فقولِي يَا جُمُعَة! فقَالَت:

أَشَدُّ وُجُوهِ القَولِ عِندَ ذَوِي الحِجَى ... مَقَالَــةُ ذِي لُــبٍّ يَقُــولُ فَيُــوجِزُ
وأَفضَــلُ غُــنْمٍ يســتَفَادُ ويُبتَغَــي ... ذَخِيــرَةُ عَقــلٍ يَحتَوِيهَــا ويُحْــرِزُ
وخَيــرُ خِــلَالِ المَــرءِ صِــدقٌ لِسَــانِهِ ... ولِلصِّــدقِ فَضــلٌ يَســتَبِين ويَبــرزُ
وإنجَازُكَ المَوعُودَ مِن سَبَبِ الغِنَى ... فكُــن مُوفِّيًــا بِالوَعْــدِ تُعطِــي وتُنْجِــزُ

---

(1) **السآلة**: كثير السؤال. **والزَّنيم**: المَعروف باللؤم والشر، أو الدَّعِي في نَسَبِه. **والعصوم**: الأكول. **والحيزوم**: الصدر.

(2) **النُّخاع**: مُخُّ العَظم، وضعفه يكون من ضَعف البِنية.

ولَا خَيـــرَ فِي حَرِيرَيْـــك بشَاشَـــةً ... ويَطعـنُ مِـن خَلْـفٍ عَلَيـك ويَلْمِـزُ
إذَا المَـرءُ لَـم يَسْـطِعْ سِيَاسَـةَ نَفسِـهِ ... فَـإنَّ بـه عَـن غَيرِهَـا هُـوَ أعجَـزُ
وكَـم مِـن وَقُـورٍ يَقمَـع الجَهلُ حُلمَـه ... وآخرُ مِن طَيشٍ إلَى جَهلِ يَجمزُ[1]
وكَـم مِـن أصـيلِ الـرَّأيِ طَلـقٍ لِسَـانُهُ ... بَصِـيرٍ بِحُسـنِ القَـولِ حِـينَ يُمَيِّـزُ
وآخَـــرَ مَـــأفُونٍ يَلُـــوك لِسَـــانَه ... ويَعْجِـن بِـالكُوعَيْن نَوْكًـا ويَخْبِـزُ[2]
وكَـم مِـن أخـي شَـرٍّ قَـد أَوثَـقَ نَفسَـهُ ... وآخَـر ذُخْـرَ الخَيـر يَحْـوِي ويَكنِـزُ
يَفِـرُّ الفَتَـى والمَـوتُ يَطلُـبُ نَفسَـهُ ... سَـيُدرِكُهُ لَا شَـكَّ يَومًـا فيُجْهِـزُ

قَالَ القلمسُ: قَد أَحسَنتِ يَا جُمُعَة، فقُولِي أَنتِ يَا هِند، فقَالَت:

وَجَدتُ وخَيرُ القَولِ فِي الحُكمِ نَافِعٌ ... ذَوِي الطُّـولِ مِمَّـا قَـد يُعَـمُّ ويُلْـبَسُ
ولَـيسَ الفَتَـى عِنـدِي بشَـيءٍ أعُـدُّهُ ... إذَا كَـانَ ذَا مَـالٍ مِـنَ العَقْـلِ مُفلِـسُ
وذُو الجُبنِ مِمَّا يُسَعِّرُ الحَربَ نَفخُه ... يُهَـيِّج مِنهَـا نَارَهَـا ثـمَّ يُخْـنِسُ[3]
وكَـم مِـن كَثِيـرِ المَـالِ يَقْـبِضُ كَفَّـه ... وكَم مِن قَلِيلِ المَالِ يُعطِي ويُسْلِسُ
وكَـم مِـن صَـغِيرٍ نَزْدَرِيـهِ لَعَلَّـهُ ... يُهَـيِّجُ كَبِيـرًا شَـرُّه مُتَـبَجِّسُ[4]
وكَـم مِـن مُـرَاءٍ ذِي صَـلَاحٍ وعِفَّـةٍ ... يَخاتِلُ بِالتَّقوَى هُوَ الذِّئبُ الامْلَسُ[5]

---

(1) يجمز، من الجمز: وهو ضَرْبٌ من ضُرُوب العَدْو.

(2) **المأفون:** الضَّعيف العقل والرأي. نوكا، أي: حمقًا.

(3) **يخنس:** يتأخر.

(4) **متبجس:** نابع متفجر.

(5) **مراء،** أي: مُخادع، والأمَلَّس: الصَّحيح الظَّهر، والذِّئْبُ مَشهور بالخِداع.

وآخَــر ذِي طِمــرَينِ صَــاحِبِ نِيَّــةٍ يَجُـودُ بِأَعمَـالِ التُّقَى ثُـمَّ يُـنْفِسُ [1]
وكَــم مِــن سَــفِيهٍ لِلجمَاعَــةِ مُفسِــدٌ يَــدِبُّ لِشَــرٍّ بَيــنَهُم ويُوَســوِسُ
وذُو الظُّلــمِ مَـذمُومٌ النَّثَـا ظَـاهِرُ الخَنَـا غَنِيٌّ عَنِ الحُسْنَى وبِالشَّرِّ يَعْرِسُ [2]

قَالَ القلمسُ: قَد أَحسَنتُمَا، فزِيدِينِي يَا جُمُعَة، فقَالَت:

رَأَيــتُ بَنِــي الــدُّنيَا كَــأَحلَامِ نَــائِمٍ وكَـالفَيءِ يَـدنُو ظِلُّـهُ ثـمَّ يَقْلُـصُ [3]
وكُــلَّ مُقِــيمٍ فِي الحَيَــاةِ وعَيْشَــه بِلَا شَكّ يَومًا أَنَّه سَوفَ يَشْخَصُ [4]
يَفِرُّ الفَتَى مِن خَشْيَةِ المَوتِ والرَّدَى ولِلمَوتِ حَتْفٌ كُلِّ حَيٍّ سَيَغْفَصُ [5]
أَتَـاه حِمَـام المَـوتِ يَسعَى بِحَتفِـهِ وَقَـد كَـانَ مَغـرُورًا بـدُنيَا تَـرَبَّصُ [6]
كأَنَّــكَ فِي دَارِ الحَيَــاةِ مُخَلَّــدٌ وقَد بَانَ مِنهَا من مَضَى وتُقَنَّصُوا [7]
لَقَـد أَفسَـدَ الـدُّنيَا وعَـيْشَ نَعِيمِهَـا فجَــائِعُ تَتْــرَى تَعتَــرِي وتُــنَغِّصُ
أَلَا رُبَّ مَــرزُوقٍ بغَيــرِ تَكَلُّــفٍ وآخَــر مَحــرُوم يَجِــدُّ ويَحْــرِصُ

فقَالَت هِند:

---

(1) الطِّمر: الثوب البالي. وينفس: يفرج الكرب.

(2) **النثا**: ما أَخبرت به عن الرَّجُل. **ويعرس**: يُلازم.

(3) الفيء: ما كان شمسًا، فيَنسخه الظِّلُّ.

(4) يشخص: يرتحل. والمراد: ارتحال الموت.

(5) سيغفص، أي: سيأخذه فجأة.

(6) حمام الموت: قضاؤه وقدره الخاص به.

(7) **بان منها**: فارقها، وتقنصوا، مِن قَنَصه: صاده.

لَقَد أَيقَنَتْ نَفسُ الفَتَى غَيرَ بَاطِلٍ ... وإن عَاشَ حِينًا أَنَّه سَوْفَ يَهْلِكُ

ويَشرَبُ بِالكَأسِ الذُّعَافِ شَرَابهَا ... ويَركَبُ حَدَّ المَوتِ كرهًا ويُسْلَكُ[1]

وكَم مِن أخي دُنيَا يُثَمِّرُ مَالَهُ ... سَيُرَثُ ذَاك المَالُ رَغْمًا ويُتْرَكُ

عَلَيكَ بِأَفعَالِ الكِرَامِ ولِينِهِم ... وَلَا تكُ مِشكَاسًا تَلِجُّ وتَمْحَكُ[2]

ولَا تَكُ مَزَّاحًا لَدَى القَومِ لُعْبَة ... تَظَلُّ أَخَا هُزْءٍ بِنَفسِكَ يَضحَكُ

تخُوضُ بِجَهلٍ سَادِرًا فِي فُكَاهَةٍ ... وَتَدخُلُ فِي غَيِّ الغُوَاةِ وتُشْرِكُ[3]

ألا رُبَّ ذِي حَظٍّ يُبَصَّرُ فِعْلُه ... وآخَرَ مَصرُوف وَفِي الحَظِّ يُؤْفَكُ[4]

فقَالَ: أَحسَنتُمَا، وأَجمَلتُمَا، فَبَارَكَ اللهُ فِيكمَا! وَوَصَلَهُمَا وحَبَاهُمَا».

---

(1) **الذعاف:** السُّمُّ.

(2) تلج: تخاصم.

(3) السَّادر: الذي لا يُبالي بما صَنَع.

(4) يُؤفك، من الإفك، وهو ضَعْفُ العَقل.

obeikandl.com

كَلَامُ امرَأَةٍ مِن بَنِي ذكوَان في مَجلِسِ مُعَاوِيَةَ

قَالَ: حَدَّثَنِي عَبدُ اللهِ بنُ الضحك الهَداديُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا هِشَامُ بنُ مُحَمَّدٍ، عَن عَوَانَةَ، وحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بن عَبدِ الرَّحمَنِ بن القَاسِمِ التَّمِيمِيُّ، عَن أَبيهِ، عَن خَالِدِ بنِ سَعِيدٍ، عَن رَجُلٍ مِن بَنِي أُمَيَّةَ، قَالَ:

«حَضَرتُ مُعَاوِيَة يومًا، وقَد أَذِنَ للنَّاسِ إذنًا عَامًّا، فدخَلُوا عَلَيهِ لمَظَالِمِهم وحَوَائِجِهم، فَدَخَلَتِ امرَأَةٌ كَأَنَّهَا قَلعَة، ومَعَهَا جَارِيتَان لَهَا، فحدرَت[1] اللِّثَام عَن لَونٍ، كَأَنَّمَا أُشرِبَ مَاء الدُّرِّ[2] في حُمرَةِ التُّفَّاحِ، ثمَّ قَالَت:

الحَمدُ للهِ- يَا مُعَاوِيَةُ- الَّذي خَلَقَ اللِّسَانَ فَجعَلَ فِيهِ البَيَانَ، ودلَّ بِهِ عَلَى النِّعَمِ، وأَجرَى بِهِ القَلَم، فِيمَا أبرَم وحتَّمَ، ودَرَأَ وبَرَأَ[3]، وحَكَمَ وقَضَى، صَرَفَ الكَلَامَ بِاللُّغَات المُختَلِفَة عَلَى المَعَانِي المُتَفَرِّقَة، أَلَّفَهَا بِالتَّقدِيمِ والتَّأخِيرِ، والأَشبَاهِ والمَنَاكِيرِ، والمُوَافَقَة والتَّزَايُد، فأدَّتهُ الآذَان إلَى القُلُوبِ، وأَدَّتهُ القُلُوبُ إلَى الأَلسُنِ بِالبَيَانِ؛ استدلَّ بِهِ عَلَى العِلمِ، وعُبِدَ بِهِ الرَّبُّ، وأُبرِمَ بِهِ الأَمرُ،

---

(1) من الحدر، وهو الحَطُّ من عُلو إلى أسفل.

(2) أي: خالطه ماء اللؤلؤ.

(3) **درأ**: دفع. **وبرأ**: خَلَق.

وعُرِفَت بِهِ الأَقدَارُ، وتَمَّت بِهِ النِّعَمُ.

فكَانَ من قَضَاءِ اللهِ وقَدَرِه: أَن قَرَّبتَ زِيَادًا[1]، وجَعَلتَ لَهُ بَينَ آل سُفيَانَ نَسَبًا، ثمَّ وَلَّيتَه أَحكَامَ العِبَادِ، يَسفِكُ الدِّمَاءَ بِغَيرِ حِلِّهَا، وَلَا حَقِّهَا، ويهتكُ الحرمَ بلَا مُرَاقَبَةِ اللهِ فِيهَا، خَؤُونٌ غَشُومٌ، كَافِرٌ ظَلُومٌ، يَتَخَيَّرُ مِنَ المَعَاصِي أَعظَمَهَا، لَا يرَى للهِ وقَارًا، وَلَا يَظُنُّ أَنَّ لَهُ معَادًا، وَغَدًا يُعرَضُ عَمَلُهُ في صَحِيفَتِكَ، وتُوقفُ عَلَى مَا اجترم[2] بين يدي ربِّك، ولَكَ برَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسوَة، وبَينَك وبَينَهُ صِهْرٌ[3]، فلَا المَاضِينَ مِن أئمَّةِ الهُدَى اتَّبَعْتَ، وَلَا طَرِيقَتهم سَلَكتَ.

---

(1) هو زياد بن أبي سفيان، ويقال: زياد بن أبيه. وزياد بن أُمِّه. وزياد بن سُمَيَّة؛ وكان يقال له قبل الاستلحاق: زياد بن عُبيد الثقفي. وأُمُّه سُمَيَّة جارية الحارث بن كلدة.

ويُكنى أبا المُغيرة. ليست له صُحبةٌ ولا رِواية. وكان رجلًا عاقلًا في دنياه داهية خطيبًا، له قدر وجلالة عند أهل الدُّنيا.

صار مع عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاستعمله على بعض أعماله فلم يزل معه إلى أن قُتِل عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانخلع الحسنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فاستلحقه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ووَلَّاه العِرَاقين جَمَعَهما له. ولم يزل كذلك إلى أن تُوفِّي بالكوفة، وهو أمير المِصْرَيْن في شهر رمضان لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه سنة ثلاث وخمسين، وصَلَّى عليه عبدُ الله بن خالد بن أسيد كان قد أَوْصَى إليه بذلك. انظر «الاستيعاب» (2/ 523، 524).

(2) أجرم.

(3) فمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخو أُمِّ حَبِيبة رَمْلَة بنت أبي سُفْيَان زَوْج النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

جَعَلتَ عَبدَ ثَقِيفٍ[1] عَلَى رِقَابِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ، يُدَبِّرُ أُمُورَهُم ويسفكُ دِمَاءَهم، فمَاذَا تَقُولُ لرَبِّكَ يَا مُعَاوِيَة، وقَد مَضَى مِن أَجَلِكَ أكثَرُهُ، وذَهَبَ خَيرُهُ، وبَقِيَ وِزرُهُ[2]؟!

إنِّي امرَأَةٌ مِن بَنِي ذَكوَان وَثَبَ زِيادٌ المُدَّعِي إلَى أبي سُفيَانَ عَلَى ضَيعَتِي؛ وَرِثتُهَا عَن أبِي وأمِّي، فَغَصَبَنِيهَا، وحَالَ بَينِي وبَينَها، وقَتَلَ مَن نَازَعَهُ فِيهَا مِن رِجَالِي، فَأَتَيتُكَ مُستَصرِخَة، فَإن أَنصَفتَ وعَدَلتَ، وإلَّا وَكَّلتُكَ[3] وزِيَادًا إلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَلن تَبطُلَ ظلامَتِي عِندَكَ وَلَا عِندَهُ، والمُنصِفُ لِي مِنكُمَا حَكَمٌ عَدلٌ.

فبُهِتَ مُعَاوِيَةُ يَنظُرُ إلَيهَا مُتَعَجِّبًا مِن كَلَامِهَا، ثمَّ قَالَ: مَا لِزِيَادٍ؟! لَعَنَ اللهُ زِيَادًا! فإنَّه لَا يَزَالُ يَبعث عَلَى مَثَالِبِه[4] مَن يَنشُرُهَا، وعَلَى مَسَاوِيهِ من يُثِيرُهَا.

ثمَّ أمرَ كَاتِبَهُ بِالكِتَابِ إلَى زِيَادٍ يَأمُرُهُ بِالخُرُوجِ إلَيهَا مِن حَقِّهَا، وإلَّا صَرَفَهُ مَذمُومًا مَدحُورًا، ثمَّ أَمَرَ لَهَا بِعِشرِين ألفِ دِرهَمٍ، وعَجبَ مُعَاوِيَة، وجَمِيع مَن حَضَرَهُ مِن مقَالَتِهَا وبُلُوغِهَا حَاجَتَهَا»[5].

---

(1) تريد زيادًا.

(2) إثمه.

(3) تركتك.

(4) معائبه.

(5) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (70/ 282).

كَلَام أمّ سنان بنتِ خَيثمَةَ بنِ خَرشَةَ[1]

قَالَ: حَدَّثَنَا العَبَّاسُ بن بَكَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَبدُ اللهِ بنُ سُلَيمَانَ المَدِينِيُّ، عَن أَبيهِ، عَن سَعِيدِ بنِ حُذَافَةَ، قَالَ:

«حَبَسَ مَروَانُ بنُ الحَكَمِ غُلَامًا مِن بَنِي لَيثٍ في جِنَايَةٍ جَنَاهَا بِالمَدِينَةِ، فَأَتَتهُ جَدَّةُ الغُلَامِ أُمُّ أَبِيهِ، وهِيَ أُمُّ سِنَان بنتُ خَيثَمَةَ بنِ خَرشَةَ المذحَجيَّة، فكَلَّمَتهُ في الغُلَامِ، فَأَغلَظَ لَهَا مَروَانُ، فَخَرَجَت إِلَى مُعَاوِيَة، فَدَخَلَت عَلَيهِ، فَانتَسَبَت لَهُ، فقَالَ: «مَرحَبًا بِكِ يَا بنتَ خيثمَةَ! مَا أَقدَمَكِ أرضِي، وقَد عَهِدتُكِ تَشنَئِينَ[2] قُربِي، وتُحُضِّينَ[3] عَلَيَّ عَدُوِّي؟!

قَالَت: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، إِنَّ لِبَنِي عَبدِ مَنَافٍ أَخلَاقًا طَاهِرَةً، وأَعلَامًا

---

(1) هي أم سِنان بنت خيثمة بن خَرشة المذحجية، مِن أهل المدينة، شاعرة، وفدت على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُتظلمة من عامله على المَدينة. جاء ذِكرُ خبرها في «تاريخ دمشق» (70/ 247)، و«الجليس الصالح» لأبي الفرج النهرواني (ص 740)، و«طبائع النساء» (1/ 229).

(2) تُبغضين.

(3) تحرضين.

ظَاهِرَةً لَا يَجهَلُونَ بَعدَ عِلمٍ، وَلَا يسفهُونَ بَعدَ حلمٍ، وَلَا يَتَعَقَّبُونَ[1] بَعدَ عَفوٍ، فَأولَى النَّاس باتِّبَاعِ سُنَن[2] آبَائِهِ لَأَنتَ».

قَالَ: صَدَقتِ، نَحنُ كذَلِك، فكَيفَ قَولُكِ[3]:

«عَزَبَ الرُّقَادُ[4] فمُقلَتِي مَا ترقدُ ... واللَّيلُ يَصدُرُ بالهُمُومِ ويُورِدُ
يَا آلَ مُذحج لَا مقَامَ فَشَمِّرُوا ... إنَّ العَدُوَّ لآلِ أَحمَدَ يَقصِدُ
هَذَا عَلِيٌّ كَالهِلَالِ تحُفُّهُ ... وسطَ السَّمَاءِ مِن الكَوَاكِبِ أسعَدُ
خيرُ الخَلَائِف وابنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... وكفى بِذَاكَ لمَن شناهُ تهددُ[5]
ما زَالَ مُذ عَرَفَ الحُرُوبَ مُظَفَّرًا ... والنَّصرُ فَوقَ لِوَائِهِ مَا يُفقدُ»؟

قَالَت: كَانَ ذَلِك يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، وإنَّا لَنَطمَعُ بِكَ خَلَفًا.

فقَالَ رَجُلٌ مِن جُلَسَائِهِ: كَيفَ يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، وهِيَ القَائِلَة أيضًا:

إمَّا هَلكتَ أبَا الحُسَينِ فَلَم تَزَلْ ... بِالحَقِّ تُعرفُ هَادِيًا مَهدِيًّا
فَاذهبْ عَلَيكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَا دَعَت ... فَوقَ الغُصُونِ حَمَامَة قمرِيًّا

---

(1) مِن تَعَقَّبه: أَخَذَه بذنبٍ كان منه.

(2) جمع سُنَّة، وهي العادة والطريقة.

(3) يُذَكِّرها بقولها في الحرب التي كانت بينه وبين عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث كانت هي مع عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(4) أي: بَعُدَ النومُ.

(5) شناه: أبغضه.

قَـد كُنـتَ بَعـدَ مُحَمَّـدٍ خَلَفًـا لَنَـا أَوصَـى إِلَيـكَ بِنَـا فكُنـتَ وَفِيًّـا
فـاليَوم لَا خلـفَ نَأمُـلُ بَعـدَهُ هَيهَـات نَمـدَح بَعـدَهُ إِنسِـيًّا

قَالَت: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، لِسَانٌ نَطَقَ، وقَولٌ صَدَقَ، ولَئِن تَحَقَّقَ فِيكَ مَا ظَنَنَّا، فَحَظُّكَ أَوفَر، واللهِ مَا أَورَثَكَ الشَّنَاءَة[1] فِي قُلُوبِ المُسلِمِينَ إِلَّا هَؤُلَاء، فَادحَضْ مَقَالَتهم، وأَبعِدْ مَنزِلَتَهُم؛ فإِنَّك إِن فَعَلتَ ازدَدْتَ بذَلِكَ مِنَ اللهِ- تَبَارَكَ وتَعَالَى- قُربًا، ومِن المُؤمِنِينَ حُبًّا.

قَالَ: وإِنَّكِ لَتَقُولِينَ ذَلِك؟

قَالَت: يَا سُبحَانَ اللهِ! واللهِ، مَا مِثلُكَ مَن مُدِحَ بِبَاطِلٍ، وَلَا اعتُذِرَ إِلَيكَ بِكَذِبٍ، وإِنَّك لتَعلَمُ ذَلِك مِن رَأيِنَا، وضَمِير قُلُوبِنَا، كَانَ- واللهِ- عَلِيٌّ عَلَيهِ السَّلَام أحبَّ إِلَينَا مِن غَيرِهِ إِذ كُنتَ بَاقِيًا.

قَالَ: ممَّن؟

قَالَت: مِن مَروَان بنِ الحَكَمِ، وسَعِيدِ بنِ العَاصِ.

قَالَ: وبِمَ استَحقَقت ذَلِك عَلَيهِما؟

قَالَت: بحُسنِ حِلْمِكَ، وكَرِيم عَفوِكَ.

قَالَ: وإِنَّهُمَا لَيَطمَعَانِ فِيَّ؟

قَالَت: «هُمَا- واللهِ- لَكَ مِنَ الرَّأيِ عَلَى مِثلِ مَا كُنتَ عَلَيهِ لِعُثمَان

(1) البُغض.

رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قَالَ: واللهِ، لَقَد قَاربتِ، فَمَا حَاجَتُكِ؟

قَالَت: إنَّ مَروَانَ بنَ الحَكَمِ تبنك[1] بِالمَدِينة تبنك مَن لَا يُرِيدُ البَرَاحَ مِنهَا؛ لَا يَحكُمُ بعَدلٍ، وَلَا يَقضِي بسُنَّةٍ، يتَتَبَّع عَثَرَاتِ المُسلِمِينَ، ويَكشِفُ عَورَاتِ المُؤمِنِينَ، حَبَسَ ابنَ ابني، فَأَتيتُهُ، فقَالَ كَيتَ وكَيتَ، فَأَلقَمتُهُ أَخشَنَ مِن الحَجَر، وأَلعَقْتُهُ أمرَّ مِنَ الصَّبرِ، ثمَّ رَجَعتُ إلَى نَفسِي بِاللَّائِمَة، فَأَتيتُكَ- يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ- لِتَكونَ مِن أمرِي ناظرًا، وعَلَيه مُعديًا[2].

قَالَ: صَدَقتِ، لَا أَسأَلُكِ عَن ذَنبِهِ، ولَا عَن القِيَامِ بحُجَّتِهِ؛ اكتُبُوا لَهَا بإخرَاجِهِ.

قَالَت: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، وأَنَّى لِي بِالرَّجعَةِ، وقَد نَفَدَ زَادِي، وكَلَّت رَاحِلَتِي.

فَأَمَرَ لَهَا بِرَاحِلَةٍ مُوطأَةٍ[3]، وخَمسَة آلَاف دِرهمٍ»[4].

(1) أقام.

(2) مُعينًا ناصرًا.

(3) مُهيئة.

(4) أخرجه الضبي في «أخبار الوافدات على معاوية» (ص 23)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (70/ 247)،

obeikandl.com